وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

قسم علم المكتبات والتوثيق

مطبوعة دروس في مقياس علم النفس الاجتماعي للاتصال

Lessons in the Social Psychology of Communication

وحدة سداسية

المستوى: **إعداد: د.امحمد طالبي**

- **السنة الثالثة ليسانس تخصص:**

  أرشيف، علم المكتبات والمعلومات.

- **السنة الثانية ليسانس تخصص:**

  علوم الإعلام والاتصال.

- **السنة الأولى ماستر تخصص:**

  تكنولوجيا وهندسة المعلومات.

السنة الجامعية

2023-2022

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Algiers 2 Abul-Qasim Saadallah

Department of Library Science and Documentation

Lessons in the Social Psychology of Communication

semester module

level :

third year bachelor :

- Archive, Library and Information Science.

Seconde year bachelor :

- Media and Communication Sciences.

First year master :

- Information technology and engineering.

University year

2022-2023

فهرس الموضوعات:

مقدمة.....(4)

المحاضرة الأولى:

علم النفس و علم الاجتماع: محاولة في ضبط المفاهيم ونماذج البحث.....(5)

المحاضرة الثانية:

علم النفس الاجتماعي: المفهوم والأهمية والأهداف.....(8)

المحاضرة الثالثة:

علم الاتصال: المفهوم الخصائص والأنواع.....(12)

المحاضرة الرابعة:

نظريات الاتصال: النظريات الكلاسيكية.....(17)

المحاضرة الخامسة:

النظريات الحديثة: نظرية كولن ونظرية ستيفنسن.....(48)

المحاضرة السادسة:

النظريات الحديثة: نظرية التأثير.....(50)

المحاضرة السابعة:

نماذج من التأثير..... (53)

مقدمة

باتت الدراسات الإنسانية اليوم أكثر من أي وقت مضى ضرورة ملحة ، ولئن كان الإنسان قد تأخر في الاهتمام بنفسه مرتين: الأولى، مع فجر التفكير المنظم عندما شخص ببصره إلى السماء ليتساءل عن سر نشأة الكون وعن مصيره، ولم يهتم بنفسه إلا مع سقراط والسفسطائية. والتأخر الثاني، لم تدخل الدراسات النفسية ضمن العلوم التجريبية في القرن التاسع عشر،بجهود علماء الألمان من جهة وعلماء النفس الأمريكان، بالإضافة إلى جهود مدرسة التحليل النفسي في كل من فرنسا والنمسا.ويسعى أنصار هذا الاتجاه في الدراسات النفسية إلى جعل علم النفس علما تجريبيا لا يختلف عن العلوم التجريبية في علوم الطبيعة وعلوم الحياة. ولعل أهم فرع من فروع علم النفس الذي انشغل به النفس وعلم الاجتماع على السواء هو علم النفس الاجتماعي الذي لم يستقل بشخصيته وبموضوعه ومنهجه وبغاياته إلا بعد الحرب العالمية الثانية. وعلم النفس الاجتماعي كعلم مستقل هو عبارة عن الدراسة العلمية لسلوك الكائن الحي ككائن اجتماعي يعيش في مجتمع مع أقرانه، يتفاعل معهم فيتأثر بهم ويِثر فيهم، أي يتأثر بسلوكهم ويؤثر في سلوكهم. ومما لا شك فيه أن سلوك الأفراد يتأثر على الدوام بالجو الاجتماعي الذي يحيط بهم. هذه الحياة الاجتماعية أصبحت تتنفس الإعلام بمختلف فروعه ,أشكاله وأنماطه من تحويل السماء إلى سقف منزل، حيث أصبح لوسائل الاتصال، خاصة الجماهيري منها، الدور الأساس في التنشئة الإجتماعية لتنصب نفسها بديلا واقعا عن المؤسسات التقليدية من أسرة ومدرسة وباقي المؤسسات الاجتماعية الأخرى.ومن هنا جاءت أهمية دراسة علم النفس الاجتماعي للاتصال. ومن الأهداف التي يسعى علم النفس الاجتماعي إلى تحقيها والتي تجعل منه علما تجريبيا.محاولة فهم السلوك الاجتماعي وتفسيره ومعرفة أسباب حدوثه والعوامل التي تؤثر فيه. التنبؤ بما سيكون عليه السلوك الاجتماعي وذلك استنادا إلى معرفة العاقات الموجودة بين الظواهر الإجتماعية ذات العلاقة بهذا المجال.وأخيرا ضبط السلوك الاجتماعي والتحكم فيه بتعديله وتحسينه إلى ما هو مرغوب فيه.

المحاضرة الأولى

علم النفس و علم الاجتماع

في محاولة ضبط المفاهيم

علم النفس :

كان القدماء يعدون علم النفس فرعا من الفلسفة لاقتصاره عندهم على البحث في حقيقة النفس و علاقتها بالبدن و مصيرها بعد الموت أما الحدثون فانهم يجردون علم النفس من كل طابع فلسفي ميتافيزيقي و يطلقون عليه اسم السيكولوجيا و تعني عندهم تلك الدراسة الموضوعية و التي يبحث فيها العلماء في الظواهر النفسية للكشف عن الأسباب الحقيقية و صياغتها في شكل قوانين تشبه القوانين في علوم المادة و علم الفيزيولوجيا و ليس البحث في جوهر النفس الذي يعتبرونه خرافة ميتافيزيقية.[1]

إن انفصال العلوم التجريبية عن الفلسفة الذي بدأ في القرن السابع عشر لم يتوقف عند علوم المادة وحدها وإنما استمر ليشمل العلوم الانسانية و منها علم النفس.وهذا هو الوجه الصحيح الذي يعبر عنه ما يسمى باستقلال العلوم عن الميتافيزيقا. وقد تحقق هذا الانفصال المنهجي في علم النفس بطريقة صريحة ، على يد الفيلسوف الأماني فولف Wolff أحد تلامذة ليبنتزLeibnitz،عندما نشر في سنة 1732و1734،كتابيه في علم النفس: الأول واسمه " السيكولوجيا التجريبية " وتناول فيه دراسة الوظائف النفسية تبعا لمنهج العلوم التجريبية. والثاني واسمه "السيكولوجيا العقلية" ويدرس طبيعة النفس وقواها ومصيرهابالطريقة القياسية[2]

---

[1] 1جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، ج1979،1

[2] 2 يوسف مراد مبادئ علم النفس العام، دار المعارف، ط7، القاهرة:صص3-4

وُضع لفظ سيكولوجيا لأول مرة في القرن 16 ثم شاع استعماله في القرن 18 بتأثير "وولف" ثم انتشر بعد ذلك في جميع اللغات الأوربية.[3].ويقال أن أول من استعمل كلمة سيكولجيا عنوانا لكتاب في علم النفس هو"جوكلينيوس" أستاذ الفلفسفة أستاذ في جامعة "ماربورج" بألمانيا سنة 1590. سيكولوجيا كلمة مركبة من كلمتين يونانيتين Psych, Logos ومعنى الأول النفس،أما الثانية فتفيد عدة معان، غير أن المقصود بها هنا هو كلام، مقال، بحث.[4]. و علم النفس وضعي كباقي العلوم التجريبية يعتمد على الملاحظة و التجربة، إلا أن طريق البحث فيه مختلفة عن طرق البحث في غيره لاعتمادها على أساس مزدوج الملاحظة الذاتية، التأمل الباطني و الملاحظة الموضوعية..[5]

وقد اعتبر علماء النفس الوائل والمحدثون على السواء، أن النفس مكون افتراضي يُستدل عليه من مختلف ما يصدر عن تلك الوحدة الثنائية المتضامنة (نفس-جسم)من سلوك لفظي أو حركي، ظاهري أو خفي شعوري أو لاشعوري على اختلاف مذاهبهم وانتماءاتهم.

أما وليام جيمس(1842-1910) فقد عرف علم النفس عام 1890بقوله :" إن علم النفس هو العلم الذي يدرس الحياة النفسية للانسان " وكان يقصد بذلك النشاط العقلي والظواهر التي يمكن قياسها بصورة موضوعية كالاحساس والتفكي والمعرفة وما إلى غير ذلك.

أما أبو السلوكية الكلاسيكية والحديثة "جون برودوس واطسون" فيقدم لنا عام 1919 تعريفا لعلم النفس مؤداهأنه العلم الذي يدرس السلوك الانساني على مستولى كل من الأفعال و القوال (السلوكالحركي والسلوكاللفظي الذي يدل على التفكير والاستدلال وما إلى غير ذلك[6]

علم الاجتماع:

---

[3]3المعجم الفلسفي

[4]4يوسف مراد،مرجع سابق، هامش ص4

[5]1 المعجم الفلسفي جميل صليبة

[6]5سيد عبد العال، نظريات علم النفس والمداخل الأساسية لدراسة السلوك الانساني، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، ط19872،2 2 2،ص ص34-35.

هو علم من العلوم الانسانية يهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية من أجل معرفة أسبابها الموضوعية و صياغتها في شكل قوانين، إنه علم يهتم بالظواهر الاجتماعية كظاهرة الانتحار التي درسها **دوركايم** دراسة وضعية تجريبية استخدم فيها الإحصاء أو ظاهرة البطالة...إلخ

اختلف مؤرخو الفكر في نشأة علم الاجتماع حيث ينسبه البعض إلى ابن خلدون (1332-1406) الذي سماه علم العمران البشري. و منهم من ينسبه إلى **أوغست كونت** (1798-1857) و قد سماه في البداية بالفيزياء الاجتماعية متأثرا بالمنهج التجريبي في العلوم الفيزيائية و الكيميائية قبل أن يتراجع عن هذه التسمية نظرا لتعقيد الظاهرة الاجتماعية و اختلافها عن المادة الجامدة، موضوع الفيزياء و الكيمياء، ليطلق على هذا العلم مصطلح **"السوسيولوجيا"**. و إذا كان **أوغست كونت**– حسب البعض – مؤسس علم الاجتماع فإن **إميل دوركايم** (1858-1917) يعتبر رائد علم الاجتماع.

تطور السيسيولوجيا:

يعتبر "اميل دوركايم" عالم الاجتماع الفرنسي أول من حاول تطبيق المنهج التجريبي على الظواهر الاجتماعية مشبها إياها بالظواهر الفيزيائية عندما قال: «يجب دراسة الظواهر الإجتماعية كأشياء» وقد طبق هو بنفسه المنهج التجريبي في دراسته الشهيرة "الانتحار" استعمل فيها خطوات المنهج التجريبي من ملاحظة علمية و فرضية وتجربة مستخدما إحدى أهم أدوات البحث التجريبي و هو الإحصاء.

الاعتراضات:

يبدو أن علماء الاجتماع المتأثرين بالنزعة العلمية التجريبية في علوم الطبيعة قد جازفوا بتبني المنهج التجريبي الذي وضع خصيصا على مقاس المادة الجامدة وقد نجح في ذلك إلى حد بعيد وبصورة اقل في علم البيولوجيا ولكن تعقيد الظاهرة الاجتماعية و تشابك عناصرها من جسمانية ونفسانية ودينية وثقافية المكتسب منها والفطري...الخ يجعل تطبيق التجريب على الظاهرة الاجتماعية أمرا صعبا للغاية بالإضافة إلى أن الحتمية -مبدأ علمي- لا ينجح دائما في الظواهر الاجتماعية.

المحاضرة الثانية

علم النفس الاجتماعي

في محاولة ضبط المفاهيم

إن علم النفس الاجتماعي فرع من فروع علم النفس وهو عبارة عن الدراسة العلمية لسلوك الكائن الحي ككائن اجتماعي يعيش في مجتمع مع أ قرانه، يتفاعل معهم فيتأثر بهم ويوثر فيهم، أي يتأثر بسلوكهم ويوثر في سلوكهم.

وعلم النفس الاجتماعي كفرع من فروع علما لنفس يهتم بدراسة الفرد في إطار المجتمع، فسلوك الأفراد يتأثر على الدوام بالجو الاجتماعي الذي يحيط بهم، والإنسان بحكم طبيعة تكوينه هو في الأصل فرد اجتماعي إذ إنه يولد معتمدا في معيشته وتدبير شؤونه على الآخرين ويمضي حياته كله أو هو في اتصال أو احتكاك مع هذا الفرد أو ذاك .

إن لعلم النفس الاجتماعي أهمية كبيرة في كثير من مجالات الحياة حيثما يوجد أفراد وجماعات بينها تفاعل اجتماعي، سواء كان عملهم يرتبط بالخدمات العامة أوبالتنشئة الاجتماعية في الأسرة أوفي المدرسة، وفي جميع المجالات التربوية والتعليمية، وفي ميادين العلاقات العامة والخدمات الاجتماعية، وفي مجال العمل، والصناعة، والقوات المسلحة وفي مجالات الإعلام، والدعاية، والتوجيه والإرشاد، وفي مجال قيادة الجماعات وغيرها.

أهمية علم النفس الاجتماعي :

لعلم النفس الاجتماعي أهمية عملية و علمية في كثير من مجالات الحياة ، حيثما وجد أفراد و جماعات بينها تفاعل اجتماعي ، و فيما يلي أهم المجالات التي يقدم لها علم الاجتماع خدماته المختلفة :

في التربية و التعليم: إنالتلاميذفيالمدرسةيتعلمونفيجماعات،وكلجماعةلها مدرس أو مشرف أوقائد،يجبأنيكونمعلماومدرباعلىالقيادةالديمقراطيةو العلاقات الانسانية ويسهمعلمالنفسالاجتماعيفيإمدادالمدرسبالمعلوماتو الخدمات التي تدعم فهمهلأسسالنموالنفسيالاجتماعي.

في الصحة النفسيةوالعلاجالنفسي: يأخذعلم النفسعلمالصحةالنفسيةو العلا ج النفسي من علمالنفسالاجتماعيويعطيهالكثير،فدراسةأسبابالأمراضالنفسية توضح الدورالذيتلعبهالأسبابالاجتماعية،ودراسةأعراضالأمراضالنفسية تظهر خطورة الأعراضالاجتماعية،ويعتمدالتشخيصعلىدراسةالجوانبالاجتماعية و السلوك الاجتماعيللمريض،والعلاجالنفسييتضمنالعلاجالنفسي.

فيالخدمة الاجتماعية:

الخدمة الاجتماعية طريقة علمية لخدمة الانسان و نظام الاجتماعي يقوم بحل مشكلاته ، و تنمية قدراته و مساعدة النظم الاجتماعية الموجودة في المجتمع للقيام بدورها .

في الانتاج : تتجه الجهود القومية بشكل واسع وقوي نحو التصنيع و رفع الكفاية الانتاجية و العمل و هذا يتطلب الى جانب النواحي التكنولوجية الاهتمام بالجوانب الانسانية في الصناعة و العمل .

في القواعد المسلحة : تلعب القوات المسلحة دورا هاما في المجتمع فعلها يقع عبئ بناء البلاد و حماية بناء المجتمع ، و لعلم النفس الاجتماعي أهمية بالغة في المجال العسكري في دراسة أسس السلوكو التفاعل الاجتماعي بين الأفراد و الجماعات و وحدات العسكرية في وقت السلم ووقت الحرب ، و في عمليات التعليم في المواقف و دراسة الرأي العام دورا كبيرا في التأثير في سلوك الفرد و الجماعة و يمكن أن تكون –إذاأحسنا استخدامها– عاملاهامامنعواملالتقدمالإنساني،وهناكحاجةإلى ونوعية الجماهيرحتىتتصلفلسفةالعملالوطنيإلىجميعالعاملين في

الوطنفيكافةالمجالاتبطريقةعلمية،وعلىذلكيجبأنيهتمالإعلاميونبوضوحالفكرالقائمعلىالأساسالعلمي .

ويمكنأنتستفيدوسائلالإعلامإلىأقصىحدمنعلمالنفسالاجتماعيفيتدعيموعيالمواطنينبمسؤولياتهمالاجتماعية،وربطالإنسانالفردفينضالهاليوميبحركةالمجتمعكلها،وتكويناتجاهاتسليمةوتعديلمايحتاجإلىتعديلمنالاتجاهاتالقائمةمستخدمينأنسبالطرقالعلميةمن:
دعاية،ومناقشات،وقراراتجماعية .

إنأخصائيالعلاقاتالعامةالذييعملعلىرفعالروحالمعنويةبينالعامليونويعملعلىإشعارهمبمسؤولياتهمالاجتماعيةقبلالجمهوروالعملاء،يتعينعليهفهمطبيعةالجماعاتوالاتجاهاتالجماعيةأيالرأيالعاموالعواملالتيتسهمفيتشكيلهوطرققياسهوالتأثيرفيه .

بالإضافةإلىماسبقفإنتقديمالمادةالإعلاميةيحتاجإلىدراسةمتخصصةوإحاطةشاملةبعددمنالموضوعاتالهامةمثل:

- وسائلالإعلاموالاتصالالاجتماعيوأهميةذلكفيعمليةالتنشئةالاجتماعية.
- الدعايةوأسسهاومبادئهاوفاعليتهاواللحظاتالسيكولوجيةالمناسبةلها.
- المواقفالاجتماعيةالمختلفةالتييعملالفردفيإطارها.
- دراسةالجمهوروجماعةالرأيالعام.
- دراسةشخصيةالأفرادوالجماعاتوكيفيةالتأثيرفيها.
- الوسائلوالأساليبالمناسبةللتأثيرعلىالأفرادوالجماعات.
- طرقاستطلاعومسحودراسةالرأيالعام.
- الدعايةوالإشاعاتوغيرهاموسائلالحربالنفسية .

أهدافعلمالنفسالاجتماعي

1- فهمالسلوكالاجتماعي وتفسير هومعرفةأسبابحدوثهوالعواملالتيتؤثرفيه

2- التنبؤبما سيكون عليهالسلوكالاجتماعيوذلكاستنادا إلىمعرفةالعلاقاتالموجودةبينالظواهرالاجتماعيةذاتالعلاقةبهذاالمجال .

3- ضبطالسلوكالاجتماعيوالتحكمفيهبتعديلهوتحسينهإلىماهومرغوبفيه،وغالباماتكونالآراء حولكيفيةضبطوتوجيهالحياةمثل:

معرفةأفضلالطرقلتنشئةالأطفالواكتسابالأصدقاء،والتأثيرعلىالآخرين،وضبطالغضب.

موضوع علم النفس الاجتماعي:

يختص موضوع هذا العلمبالبحث في علاقات الأفراد، بعضهم ببعض و دراسة التأثير المتبادل بين الفرد و الجماعة، و بين الجماعة و الجماعة.

أهم مسائله :

تأثير الاسرة ، المدرسة ، الدين و المركز الاقتصادي و الجو السياسي في تكييف الفردو نموه و درا سته بعض الظواهر السلوك كالعدوان و المشاركة و المنافسة و التعاون و الزعامة و التقليد و الايحاء و التعصب ...الخ ، و تأثيرها على سلوك الفرد و الجماعة.

المحاضرة الثالثة

علم الاتصال

في محاولة ضبط المفاهيم

أضحى علم الاتصال من العلوم التي تلعب دورا كبيرا في حياة الفراد والجماعات والدول، بل أصبح للاتصال حضورا مميزا في جميع المجالات الاقتصادية منها والسياسية والثقافية والتربوية والعسكرية والبرلمانية..

وبالجملة، يمكن القول أن الاتصال أصبح -اليوم- اكثر من أي وقت مضى، مرادف الحياة الأفراد والجماعات وكذا الدول،وإذا كان الماء هو العنصر الأساسي للحياة للأفراد، فإن علم الاتصال هو العنصر الأساس الذي يساهم في جعل حياة الأفراد في المجتمع منسجمة وناجحة.

وإذا كان علماء الاتصال وعلماء الاجتماع وعلماء النفس وكذا المهتمين بعلم النفس الاجتماعي قد اتفقوا على اهمية هذا العلم، إلا أنهم من حيث التعريف قد اختلفوا وذهبوا بشأنه مذاهب شتى.

وبالرجوع إلى أصلكلمةاتصال Communicationنجد أنها ماخوذة من الكلمةاللاتينيةCommunisومعناها Common أي «مشترك»أو «عام»،وهذا فالكلمة هذه تكون قاعدة مشتركة عامة. وللاتصال وظيفة دقيقة ومحددة، وهي المشاركة في تبادل الحقائق ةالفكارن أي الترويج لفكرة أو موضوع أو سلعة او حدمة او قضيةأو فرد أة جماعة ..إلخ عن طريق انتقال المعلومات أو الأفكار أو المواقف من شخص أو جماعة ألى أشخاص او جماعات نباستخدام رموز ذات معنى موحد ومفهوم لدى الطرفين: المرسل والمستقبل.

وبالتالي فإن الاتصال كعملية يتضمن المشاركة أو التفاهم حول شيء أوفكرة أوإحساس أواتجاه أوسلوك أوفعل ما. ويعد الاتصال من أقد م أوجه النشاط الإنساني، وتلعب أنواع

الاتصال المختلفة دورا كبيرا في حياة الشخص مهما كانت الوظيفة التي يشغلها، أو وقت الفراغ المتاح أمامه، فالاتصال يؤثرعلى الفرد بشكل أو بآخر، وإذا سألنا أي إنسان أ ن يصف لنا سيرة حياته اليومية فإن الإجابة المؤكدة ستكون إما القيام بالاتصال "Communicating"أوتلقي الاتصال . " ويعد الاتصال من السمات الإنسانية الأساسية، سواء أكان في شكل صور أم موسيقى، وسواء أكان اتصالا فعلا أم مستترا، إعلاميا أم إقناعيا، مخيفا أم مسليا، واضحا أم غامضا، مقصودا أم عشوائيا، داخليا أم مع أشخاص آخرين.. فالاتصال هو القناة التي تربطنا بالإنسانية، وهو الذي يمهد لكل ما نقوم به من أفعال.

إن الاتصال لا يعني مجرد توجيه رسالة من طرف إلى آخر، وهي العملية التي يمكن أن يطلق عليها البث أو النشر أو الإرسال من جانب واحد، فلكى يتم الاتصال لابد أن يتلقى الطرف الأول ردا فوريا أو مؤجلا على رسالته، وأن تستمر الردود مع استمرار توجيه الرسائل، فإذا انقطعت الردود أصبحت الرسائل بثا أحادي الاتجاه . (على عجوة وآخرون، نظريات الاتصال، بيروت:1989،ص،18.

وتوجد تعريفات عديدة لكلمة «الاتصال» منها تعريف «كارلهوفلاند» : إن الاتصال هو العملية التي يقدم خلالها القائم بالاتصال منبهاتعادة رموز لغوية لكي يعدل سلوك الأفراد الآخرين- مستقبلي ا الرسالة-». ويرى تشارلس موريس»أن مصطلح «الاتصال» واسع النطاق،فإنه:« يتناول أيظرفيتوافرفيه مشاركة عدد من الأفراد فيأمرمعين»،ولكن «موريس»يقصرالاتصال على : « استخدام الرموزلكي تحقق شيوعا ومشاركة لها مغزى.

ويقول الباحث «چورچلندبرج» : إن كلمة «اتصال» تستخدم لتشير إلى التفاعل بواسطة العلامات والرموز، وتكون الرموزعبارةعن حركات أوصورأولغة أوأيشيء آخرتعمل كمنبه للسلوك، أي أن الاتصال هو نوع من التفاعل الذي يحدث بواسطةا لرموز. (چيهانرشتىء١٩٧٨: ٥٠ – ٥١).

وتتبنى «چيهانرشتى » تعريف الاتصال بأنه : «العملية التي يتفاعل بمقتضاها متلقى و مرسل الرسالة – كائنات حية أو بشر أو آلات – في مضامين اجتماعية معينة، وفيها يتم نقل

أفكار ومعلومات (منبهات) بين الأفراد عن قضية أو معنى أوواقع معين، فالاتصال يقوم على مشاركة المعلومات والصور الذهنية والآراء». (چيهانرشتى١٩٧٨ : 53) .

ويذهب « سمير حسين » إلى أن الاتصال : « هو النشاط الذي يستهدف تحقيق العمومية أو الذيوع أو الانتشار أو الشيوع لفكرة أو موضوع أو منشأة أو فضية، وذلك عن طريق انتقال المعلومات أو الأفكار أو الآراء أوالاتجاهات أو شخص أو جماعة إلى أشخاص أو جماعات باستخدام رموز ذات معنى واحد هو مفهوم بنفس الدرجة لدى الطرفين». (سميرحسين١٩٨٦: ٢١).

و يرى « مجهود عودة » : « أن مفهوما لاتصال يشير إلى العملية أو الطريقة التي تنتقل بها الأفكار والمعلومات بين الناس داخل نسق اجتماعي معين ،يختلف من حيث الحجم، ومن حيث العلاقات ،بمعنى أن يكون هذا النسق الاجتماعي مجرد علاقة ثنائية نمطية بين شخصين أوجماعة صغيرة أو مجتمع محلي أو مجتمع قومي أوحتنا لمجتمع الإنساني ككل». (محدودعودة،أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي –دراسة ميدانية في قرية مصرية ، ط.2،كلية الآداب جامعة عين شمس:1981.ص5

ويعرف « محمد عبدالحميد » الاتصال بأنه : «العملية الاجتماعية التي يتم بمقتضاها تبادل المعلومات والآراء والأفكار في رموزدالة، بين الأفراد أوالجماعات داخل المجتمع، وبين الثقافات المختلفة،لتحقيق أهداف معينة.محمد عبد الحميد،نظرياتالاعلام والاتجاهات والتأثير،القاهرة:2001.ص،21

ويلاحظ أن كلمة «اتصال»تستخدم في سياقات مختلفة، وتتضمن مدلولات متعددة، فهي بمعناها المفرد Communication تعني نقل الأفكار والمعلومات والاتجاهات بين الأفراد أو الجماعات، وفي صيغة الجمع Communications تشير إلى الوسائل التي تحمل مضمون الاتصال.

لقد عرّف مايكل ويسترون الاتصال بأنه " نقل المعاني، وتبادلها بأسلوب يفهمه أطراف الاتصال ويتصرفون وفقه بشكل سليم".كما عرّفه إنجل باركنسون بأنه" عملية منظمة ونظمية ، وعفوية أيضا تنطوي عاى إرسال وتحويل معلومات وبيانات من جهةإلى اخرى، شريطة ان تكون البيانات والمعلومات المحولة مفهومة ومستساغة من قِبل المستفيدين بها".1 بشير العلاق، نظريات الاتصال مدخل متكامل، دار اليازوري،العلميةللنشر والتوزيع، عمانالردن:2010،ص13

ومن جهته، عررف العلاق الاتصال بأنه" أحد ركائز التوجيه، حيث ينطوي على تدفق المعلومات والتعليمات والتوجيهات والأوامر والقرارات من فرد أو مجموعة إلى أفراد ومجاميع، لغرض الابلاغ، أو التأثير، أو إحداث التغيير باتجاه بلوغ أهداف محددة مسبقا"

ويركج آخرون على فاعلية الاتصال والتي تتحقق بالتفاعل بين طرفي العملية الاتصالية،هذا المعنى الدقيق للاتصال نلمسه في تعريف ستانلي Stanleyحيث عرّفه بأنه عبارة عن" عملية تبادل تفاعلي بين أطراف ذات لغة مشتركة ، وليس عملا فرديا منعزلا حيث تُقاس فاعلية الاتصال في ضوء قدرة عملية التبادل على إحداث حالات تفاعل، وتناغم وانسجام، وفهم مشترك للرموز المتبادلة" [7]

ومن هذه التعاريف يمكن إجمال معانيه في النقاط التالية:

1- هو وسيلة لنقل المعاني من جهة إلى أخرى سواء باتجاه واحد أو باتجاهين إثنين.
2- عملية ديناميكية حيوية وليست ستاتيكا ساكنة تنطوي على أفعال وردود أفعال.
3- أحد أهم ركائز التوجيه، فبدون الإتصال تنعدم وظيفة التوجيه.
4- تبادل المعاني والمعلومات والبيانات لتحقيق أهداف معينة مثل التبليغ والإقناع والتأثير...إلخ.
5- هو عملية تفاعلية بين أطراف عدة ذوي قواسم مشتركة في العملية واستيعاب مكوناتها الإتصالية.

[7] بشير العلاق، نظريات الإتصال مدخل متكامل، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن:2010.

6- عملية متعددة الأوجه و الطبيعة فقد تكون نظمية كما قد تكون عفوية، وقد تستعمل الكلمات كما قد تستعمل الأدوات أو الإيحاءات.

المحاضرة الرابعة

نظريات الاتصال الكلاسيكية

عند أرسطو و ابن خلدون

- **أولا: نظرية الاتصال عند أرسطو (384 ق م – 322 ق م)**

يعتبر هذا النموذج من أقدم نماذج الاتصال، بل يمكن القول أن أرسطو- بإعتباره المعلم الأول لأنه هو أول من وضع منهجا للفكر سماه " الأورغانون " (المنطق الصوري)- هو أيضا واضع نموذج الاتصال الأول، وذلك قبل أن تظهر وسائل الاتصال الجماهيري التي ألهمت المفكرين المشتغلين بعالم الاتصال في وضع نظريات تناسب مع روح العصر وتتكيف مع التطور الحاصل في مجال العلوم الإنسانية والعلوم التكنولوجية،
وكما يقال " كل قديم كان جديدًا في عصره" فإنه يمكن القول أن " **أرسطو** " كان رائدًا في " **علم الاتصال** " في زمانه (ق03 ق م) حيث قدّم توصيفًا وتوضيحًا للحدث الاتصالي بلغة عصره، وبالرغم أن نموذجه بدائيًا (لم يستعمل أدوات الاتصال الجماهيري لعدم وجودها) إلا انه لا مس مفهوم العملية الاتصالية.
كما إعتبر العلماء المختصون نموذج أرسطو في الاتصال وبكل المقاييس الاتصالية حجر الزاوية في فهم العملية الاتصالية برمتها.

وتأتي أهمية نظرية أرسطو طاليس في الاتصال كونه واحدا من أساطين الفكر قديما وحديثا وأحد بناة الحضارة الإنسانية، حيث كتب بأصالة واقتدار في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية، هو تلميذ لأفلاطون 429 ..347 و معلم و مربي الاسكندر الأكبر (أكبر فاتح في التاريخ) ، لقب بالمعلم الأول ، قيل عنه لقد كان العلم جنينا قبل أرسطو – وولد بمجيئه لكن ما هي مساهمة أرسطو في عالم الاتصال .

علم الاتصال علم حديث النشأة، لارتباطه بوسائل الاتصال الجماهيري (الصحف، الراديو، التلفزيون ..) وع عليه ، فمن الطبيعي ان لم يكتب لأرسطو نظرية في الاتصال ن لأنه عاش في عصر الأفكار و الفنون و الآداب و القانون و لم يشهد عصر التكنولوجيا ، هذا السبب التاريخي يبرر لأرسطو عدم افراده نظرية مستقلة في الاتصال بالمفهوم الحديث، و من ثم لا

يمكن الحديث عن وجود نظرية الاتصال عند أرسطو و مع ذلك يمكن التماس نظرته في الاتصال من حلال أبحاثه الأدبية فما هي رؤية أرسطو في الاتصال؟

لقد وضع أرسطو أساسا علمية- لا تزال قائمة الى اليوم– للتفاعل بين الخطيب (المرسل) بلغة العصر - و الجمهور (المستقبل) كما وضع أسس التفكير الصحيح من خلال علم المنطق (LOGO) الذي سماه **أورغانون** العلم – رغم أن وسائل الاتصال ، في عصره ، لم تكن متطورة و تقوم الأسس التي وضعها أرسطو على أن يقوم المرسل بإعداد رسالة . خطبته . بصورة شيقة و جذابة و مقنعة حتى يتمكن من التأثير في الجماهير بالصورة المستهدفة .

ونلمس هنا من أرسطو أنه يجمع بين بلاغة الخطيب و عقلانية الفيلسوف ، حتى تؤدي الرسالة الغاية التي وجدة من أجلها وهي التأثير ، ذلك أنه لا قيمة للاتصال - وجهة أرسطو اذا لم يكن مقبولا و مفهوما من الجمهور المستهدف بالرسالة الاتصالية (الخطبة) و عليه ، يمكن تلخيص الموقف الاتصالي عند ارسطو على التالي :

-الخطيب (المرسل) 2- الخطبة (الرسالة) 3- الجمهور (المستقبل) و قد أوجب ارسطو على الخطيب أن يدرك ما يدور في نفوس الجمهور من قيم و مبادئ و معايير و سنن (قوانين) اجتماعية كأحد الأسباب الرئيسية في كل عمل اتصالي ناجح وفقا له و كانه بهذا القاعدة يريد من الخطيب أن يكون عالم النفس اجتماعي لكي تكون رسالته مؤثرة لتحقيق الغاية المرجوة على اساس ادراك الجمهور للرسالة يتأثر بتقديره لهذه الرسالة .

و مما يلاحظ على نظرية ارسطو هذه في الاتصال أنها تتفق مع التطور الاجتماعي الذي كان سائدا في ذلك الوقت ، حيث نجد أن الاتصال عنده لا يستخدم أية اداة من أدوات الاتصال الفردية و لا الجماهيرية كما أن هذه النظرية لا تتضمن الاشارة بوضوح الى رجع الصدى أو التغذية العكسية للرسالة الاتصالية و ان كان تركيزه على الناحية النفسية للجمهور و تأكيده على وجوب مراعاة الاقناع و استعمال الأسلوب الشيق و الجذاب ، يشير الى ذلك نوعا ما و هذا لا يمنع من اعتبار " ارسطو " رائد في علم الاتصال في زمانه لذا قسنا هذا العلم و حكمنا عليه بمعيار ذلك الزمان ، و كما يقال " كل قديم جديد في عصره " .

فاللّغة في عصر أرسطو كانت الأداة الأساسية في الاتصال يعبر بها الإنسان عن أحواله وأغراضه فقد استعملها الإنسان ولا يزال للإتصال ويعبّر بها كل فرد للأخرين عن حاجاتهم وأحوالهم ومآرب أخرى مختلفة. وبالعودة إلى المعنى " الاتيمولوجي " للغة يمكن القول أنها في مفهومها الضيق الدقيق، المعاصر لعلميْ الكلام والكتابة بأنها عنصر أساسي في حياة البشر، ودونها من الصعب تصور قيام حياة إجتماعية متماسكة ومتكملة، إذ كيف يمكن إستمرار علاقة تشاركية بين الأفراد أو بين الجماعات دون وسيلة إتصالية فعالة ناقلة للأفكار والأحوال ومعبِّرة عن مختلف الحاجات ؟ !! ومادام الإنسان المتميز بالطموح- كائنًا متحضرًا فإنه في هذه الحالة يستحيل عليه قيام حضارة ذات نظم اجتماعية وأنماط ثقافية وقيم أخلاقية وإبتكارات دون أن يكون لكل هذه المحتويات حاويًا أو وعاءً لها وهو اللغة، " فاللغة على حدِّ تعبير " **محمد عبدو**" ترجمان الفكر وبإعتبارها الأداة الرئيسية للتفاهم والحوار وأداة التفكير بالمقام الأول تأتي ضرورتها في حياة الإنسان كإنسان مفكر بالفطرة وإنسان إجتماعي بالطبع.

واللغة في المجتمع التقليدي هو التي تستطيع أخذ الانسان إلى ربوة أعلى تجعله يرى الأفق، ثم تجعله يلتفت وراءه، وهي التي تساعده في تجاوز قيود المسافة الزمن والعزلة بين الماضي والحاضر وتجعله ينظر إلى المستقبل بما يفكر في إبتكارهوإختراعه وأكتشافه للمجاهيل، إنها الأداة التي تربط الحاضر بالماضي، فهي التي تنقل الناس من المجتمع البدائي إلى المجتمع المتفتح حيث تتجه العيون شطر المستقبل، وهذا يعني وجود علاقة بين الاتصال والحضارة [8].واللغة بهذا المفهوم تكوين مسايرةً للتطور الحضاري ومعبّرةً عليها أو الحاضنة للإنتاج الحضاري، وتأسيسًا على ذلك فإن اللغة في النظرية الاتصالية هي اهم أدوات الحضارة بل هي أسسها، حيث انها العنصر المؤسس لنشأتها والأداة المساهمة لتطورها والضامنة لإستمرارها، وهي في نظر " **مجد الهاشمي** " أساس الهيمنة على الحضارات، لأن الشعوب التي تتكلم لغات مختلفة تعيش في عوالم مختلفة من الواقع، لإعتبار أن هذه اللغات تؤثر في مدركات الشعوب الحسية وكذا أنماط تفكيرها من جهة أنها الوحي الأساسي للحقيقة والواقع الاجتماعي الذي يعيشه المتكلمون بها [9].

- **ثانيا نظرية الاتصال عند ابن خلدون(1332 م - 1406 م)**

يعتبر عبد الرحمن ا بن خلدون واحد من أساطين علماء التاريخ و علماء الاجتماع ان لم يكن رائدهم في هذين العلمين – ولد بتونس و عاش في الجزائر و توفي في القاهرة.

---

[8]– حسن عبد الجبار**إتجاهات الإعلام الحديث والمعاصر**، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط 1، 2008، ص ص: 58–59.

[9]– مجد الهاشمي، **تكنولوجيا وسائل الإتصال الجماهيري**، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2014، ص: 13.

لم يضع ابن خلدون نظرية في الاتصال، شأنه في ذلك شأن معظم الفلاسفة القدامى ، لأن بوادر علم مستقل في هذا الاختصاص لم تظهر إلا بعد مدة طويلة لارتباط هذا العلم بوسائل الاتصال الجماهيري. غير أنه يمكن استخلاص وجهة نظره في هذا المجال من تراثه الفكري الذي يتسم بالجدية و الواقعية و الموضوعية و الذي سبق فيها الكثير ممن اهتموا بالدراسات الاجتماعية و التاريخية في العالم الغربي ، و كذا في منهجيته في البحث الاجتماعي الذي يعتبر فيه (ابن خلدون) واحدا من رواده - إن لم يكن هو رائده- حيث أوضح أن : عجز الاتصال بين الماضي و الحاضر يعود إلى التشيعات إلى الآراء و المذاهب. و قد برر ذلك بقوله:" إن النفس إذا كانت في حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه في التمحيص (التدقيق) و النظر (التأمل العقلي) حتى تُبيَّن صدقه من كذبه ، (و هذا هو حال الباحث الموضوعي) و إذا خامرها(النفس) تشيُّعٌ لرأي أو نحلة (مذهب عقائدي) قبِلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة ، فكان ذلك الميل أو التشيُّع غطاء على بصيرتها عن الانتقاد و التشخيص، فتقع في الكذب و نقله". و واضحان ابن خلدون ، يبيّن أثر التحيز (المرفوض علميا) في تقبل الرسائل، إذ من شأن الذاتية أن تحجب الحقيقة. و يزيد ابن خلدون على ذلك فيطلب من المستقبِل أن يضع كل رسالة – تصل إليه – في ضوء طبيعة العمران البشري، و في هذا يقول " و إذا ما اعتُمِد في الأخبار على مجرد النقل و لم تُحكَّم طبيعة العمران الإنساني، فربما لم يُؤمن من العثور و مزلَّة القدم، و الحيدِ عن جادة (طليق) الصواب ". و من أمثلة ذلك ما وقع فيه المسعودي و نبه إليه ابن خلدون في شأن جيش موسى – عليه السلام – و جيش فرعون، حيث رأى ابن خلدون أن هناك مبالغة كبيرة في عدد جيش بني إسرائيل الذي لا يتفق مع حجم المكان الذي وقعت فيه المعركة. و واضح من قول ابن خلدون هنى، إلزام المستقدم برفض قبول الرسالة المنقولة إليه ما لم يضعها في مرآة الأوضاع الاجتماعية حتى لا يقع في الخطأ.

لم يكن المنهج النقدي معروفا في الدراسات التاريخية قبل ابن خلدون، و بذلك يمكن القول أنه هو واضع أسس المنهج العلمي في الدراسات الاجتماعية قبل أن تظهر في القرن 19 مع " **أوغست كونت** " (1798-1857) و "**إميل دوركايم** " (1858-1917).

و من هنا يمكن القول بأن نظرية ابن خلدون في الاتصال يمكن إجمالها في:

1) الحقيقة في الرسالة. 2) الأمانة في المرسل. 3) الذكاء الاجتماعي في المستقبل. و تفصيل ذلك:

1- **المُرسل:** من رأي ابن خلدون أن الناقلين الأخصائيين في الإتصال لا يعرفون القصد مما عاينوا أو سمعوا، فينقلون الخبر على ما في ضنهم و تخمينهم، فيقعون في الكذب في كثير من الأحيان.

2- **الرسالة:** و التي من الضروري مناقشتها في ذاتها للوقوف على مدى اتفاقها مع طبيعة الأمور، و مع الظروف و الملابسات التي يحكيها الراوي (المرسل)، و مناقشة مادة تلك الرسالة.

3- **المُستقبِل:** و قد أوجب عليه ابن خلدون أن يتأكد من أمانة الراوي و صدقه و سلامة ذهنه، و طهارة عقيدته و متانة خُلُقِهِ، و قيمه الشخصية. و كأنه (يريد من المُستقبِل أن يتَّصِف بخصائص الروح العلمية خاصة الروح النقدية منها و الروح الموضوعية من جهة، و من جهة أخرى يَطلُب من المُستقبِل أن يُراعي نقد السند المطبق في علم الحديث).

من خلال استعراضنا لنظرية ابن خلدون في الاتصال يمكن استنتاج ما يلي:

- يرزم ابن خلدون المُستقبلين باستخدام منطق الإمكان الاجتماعي لكل الرسائل التي تصل إليهم، و يُطالبهم بعدم الثقة في الناقلين الذين قد يتزلَّفوا (يتقربوا) بعضهم لأرباب المناصب العليا لغاية في أنفسهم. هذا العنصر لم يكن معروفا في العوم الانسانية و حتى في العلوم الطبيعية قبل ابن خلدون و لم يظهر بشكل واضح إلَّا عند " **غاستونباشلار**" (1884-1962) المعروف بنظريته في القطيعة الإبستمولوجية و التي يشترط فيها على الباحث العلمي أن يكون سَيِّء النية في تلقي المعلومات العلمية المُكتشفة حتى يتبين الحق فيها. أي لابد أن يُسيئ الضن بالمعارف السابقة و قد رفع بذلك شعار: " الهدم من أجل البناء" ''Détruire pour mieux reconstruire''

■- **عناصر عملية الاتصال:** [10].

ما يميز الاتصال الإنساني هو التفاعلية بين المرسل والمستقبل، الأمر الذي يحقق المرونة ويحرز على النتائج الصحيح الموجودة من مضمون الاتصال، إذ كل إتصال له أهداف وغايات يريد تحقيقها، ومن ثمّ فإن الاتصال المقصود هنا هو ذلك الاتصال الذي ينطوي على قدر عالٍ من التفاعل بين طرفي أو أطراف الاتصال، وهو ما يؤدي – في النهاية-

إلى حصول نوع من التأثيرالمطلوب، وليس فقط مجرّد تبادل معلومات وبيانات خالصة وفارغة من كل محوى تأثيري، وتأسيسا على هذا، فإن عملية الاتصال لها بداية ونهاية، فالعملية- كل عملية مقصودة كانت أو عفوية- لابد أن تكون لها بداية، فهي تبدأ مع رغبة شخص أو غيره أي من (المرسل)، في نقل أفكار او معلومات أو معان أو أي محتوى إتصالي إلى شخص أو أكثر أخرين وهو (المستقبل) والهدف من وراء ذلك هو إبلاغ مضمون الرسالة الاتصالية أي التأثير الذي يحققه التفاعل بين عناصر الاتصال وهي:

[10]– العامري، صالح مهدي محسن والغالبي، طاهر محسن منصور، **الادارة والأعمال** ، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ص ص: 493-494.

1)- الرسالة أو المعنى وهي المضمون أيضا:

وهي المحتوى الملموس للفكرة أو المعنى المارد نقلها أو إرسالها إلى الجهة المستهدفة، وهي المستقبل لرسالة والمستلم لها، ولهذه الرسالة أشكال، فقد تكون كلمات أو صورأو جمل وعبارات لها معنى. كما قد تكون تعبيرات ففيزيولوجية أو أفعال (سلوك)، فالرسال تتضمن معان وإيحاءات معينة.

2)- التشفير:

والمقصود بها الرموز المستعملة في الرسالة أو الشيفرات التي تتألف منها الرسالة الاتصالية والتي تُسهم في صياغتها لتحقق الغاية المرجوة من الاتصال كإستخدام الحروف أو إعتماد رموز معينة أو صوراً ,إشارات وبالجملة كل وسيلة سواء كانت مستترة أو ظاهرة لها دلالات ومعان.

3)- القناة أو الوسيلة:

فالمتصل يحتاج – بالضرورة- إلى وسيلة إتصالية- غير الشفرات والرموز عبر القناة يتم نقل الرسالة من المرسل إلى المستقبل كاستعمال وسيلة إتصال سلكية ولا سلكية كالهاتف بنوعيه، والانترنت والفاكس، المستعملة حاليًا والوسائل التقليدية كالبريد، وحتى الكلام المباشر.

4)- فك التشفير:

لا يمكن للشفرات والرمز والاشارات أن يؤدي غايتها الاتصالية إلا إذا تم تحديد مفاهيمها، ومن هنا تأتي أهمية فك الشفرة أو فك الرمز المتضمن في الرسالة أي تفسير الرموز بهدف الوصول إلى فهم دقيق لمعانيها، وفي غياب فك التشفير أو سوء فهم وتفسير الرموز المستعملة في الإتصال لن يحقق الاتصال أيًّا من أهدافه ويكون بمثابة حوار الطرشان لا أحد يفهم الآخر !!

5)- الضوضاء:

يمكن للاتصال ان يتعرض إلى معوقات التي من شاها التقليل من تمكين طرفي الاتصال (المرسل والمستقبل) من إدراك محتوى الإتصال (الرسالة) ومن هذه المعوقات الخارجية الضوضاء، وقد يقع المرسل في هذا المشكل الاتصالي عندما لا يحسن إختيار الوسيلة المناسبة في الوقت المناسب، كما قد تتعلق الضوضاء بالمستقبل أيضا أو بالقناة الاتصالية ذاتها، وما يمكن إستخلاصه هنا أن الضوضاء كعامل مشوش ومعيق تُفقد الرسال الكثيرمن محتواها وتضعف فاعلية الاتصال لذات السبب.

6)- التغذية العكسية أو رجع الصدى:

والمقصود بها موقف المستقبل من مضمون الرسالة التي أعدها المرسل، أي ردود فعل المستقبل، وتكمن أهميتها – في ظل الاتصال التفاعلي- كونها تعطي إنطباعا عن مدى فهم وإدراك مستلم الرسالة وموقفه منها، وأيّا كان مضمون رجع الصدى- سواء بقبول المحتوى أو برفضه فالعملية الاتصالية تكون قد حققت أهدافها.

يرى العلاق [11] أن نجاح الاتصال في بلوغ أهدافه المنشودة كالإبلاغ، والاقناع، والتوجيه، والتأثير إلخ يتطلب توافر عدة عناصر مهمة وليس فقط التركيز على أهمية الرسالة (مضمونها) وأهمية المرسل (طريقة التوصيل) ومن هذه العناصر المتشابكة والمتكاملة يوجد، (1)- المرسل، (02)- المستقبل، (3)- قنوات الاتصال، (4)- رموز الاتصال، (5)- بكة الاتصال، (6)- ردود الفعل. ولعل هذا العنصر الأخير هو المعيار الواقعي والاساسي الحكم على نجاح أو فشل العملية الاتصالية برمتها، إنه بمثابة الحَكَم على ضعف أو قوة باقي العناصر المكونةللإتصال.

فالمرسل- وهو أول فاعل في العملية الإتصالية- يقوم إبتداءا بعملية الاتصال المفتوح لأن لديه أهدافًا محددة يري لها التحقيق، و رسالة معينة يريد نقلها إلى الطرف الآخر المستقبل، ويريدها أن تصل بنفس المفهوم وبنفس الدرجة من المحتوى لتحقق الهدف المنشود، أما المستقبل فه والشخص الذي يستقبل الرسالة، ويطلع على مضمونها، وعليه أن يفك شفرتها ويفهمها جيدًا على الوجه المطلوب تفاديًا لأي تأويل أو إنحراف عن الهدف الذي وُضعت له سلفا من طرف المرسل، وذلك بغض النظر عن وجود الضوضاء او التشويش.

أما وسيلة الاتصال، التي لاتقل أهمية- عن العناصر الاتصالية المذكورة، فهي عبارة عن وسائل يمكن بواسطته تدفق المعلومات من المرسل إلى المستقبل.

أما بخصوص ردود الفعل أو التغذية العكسية فهي الغاية التي وُضعت لتحقيقها كل العناصر الآنفة الذكر، فبناء على التغذية العكسية يتم الحكم على العناصر السابقة بالفشل أو بالنجاح أو بالضعف أو بالقوة لا تكمن أهمية رجع الصدى، هذا الحكم على الرد فقط وإنما من خلال إتاحة المجال الذي ينبغي ان يكون واسعًا وغي موجّه لتبادل المعلومات والأفكار

---

[11]– بشير عباس العلاق، **إدارة التسويق**، دار زهران، عمان، الأردن، ص: 10.

بين المرسل والمستقبل، وبين المستقبل والمرسل، لأن العملية الإتصالية تصبح متكاملة بتبادل الأدوار بين الرسالة متلقي الرسالة، وهذا ما ينعش العملية الاتصالية ويثري من الرسالة.

لكن، من المحتمل أن لا تحصل ردود أفعال واضحة على محتوى رسالة المرسل، ومما لا شك فيه أن هذا الإخفاق في رجع الصدى أو ضعف التفاعل مع مضمون الرسالة له أسباب ومعوقات من أهمها:

أ)- كثقافة التشويش وقوته؛ ب)- ضعف مضمون الرسالة وغموضها شكلا ومعنى؛ ج)-إختلاف الادراكات بين المرسل والمستقبل، د)- الإخفاء في الترميز وفك الترميز، ه)- تعقيد شبك الاتصال أو ضعفها، و)- سوء التخطيط لعملية الاتصال او ضعفه؛ ز)- ضعف شخصية طرفي الاتصال (المرسل والمستقبل) أحدهما، ح)- ضعف وسيلة الاتصال او إختبار الوسيلة غير المناسبة لطبيعة الرسالة، أو سوء تقدير مستوى المستقل، ط)- سوء التوقيت لعملية الاتصال.

مما سبق ذكره يتضح ان نجاح عملية الاتصال أو ثمرته تظهر في صورة رجع الصدى المطلوب والمرغوب تحقيقه ويتمثل في بلوغ الأهداف المسطرة وهذه النتيجة لا تتوقف على مدى فهم المرسل إليه أو المستقبل لمحتوى الرسالة الاتصالية- فحسب- وإنما يتوقف النجاح على حدّ كبير على قدرة المرسل على تفهم المرسل إليه، وفي الوقت نفسه على قدرة المرسل إليه على تفهم المرسل، وهنا تبرز أهمية التكامل الاتصالي، إذ ينبغي ان يكون الطرفان على إتفاق حول الموضوع محل الاتصال، وعلى ضرورة إستعمال القناة المناسبة وكذا وضوح الرسالة شكلا ومضمونًا حتى لا يقع إنحراف في الإتصال لأن العلاقة بين المرسل والمستقبل هي علاقة تبادلية تقابلية قائمة على فهم المشترك وإلا كان الاتصال عبارة عن " **إتصال الطرشان** ".[12].

■- نماذج الاتصال:

لاشك أن هدف الفرد من عملية الإتصال هو التأثير على الإطار المرجعي الذي يعيش فيه كي لايكون عرضة وهدفًا للتأثير نتيجة لإنتشار وسائل الاتصال التي باتت المحرك الأساس لحياة الفرد، فالفرد اليوم يتنفس الاتصال ويستنشق محتويات الرسال الاتصالية بمرونة فاقت كل خيال وتصور، فلم يعد الفرد يذهب إلى الوسيلة الاتصالية الفردي والجماهيري. كما كان يفعل في السابق وإنما أصبحت مع التكنولوجيا اليوم جزءا من مكوناته الشخصية التي لايمكن بأي حال من الأحوال أن يعيش دونها هذه الأهمية الكبيرة للاتصال جعلت المختصين وعلوم الاتصال يبحثون عن الوسائل المناسبة لتحقيق إتصال مرنٍ وناجح ومن هذه الوسائل نماذج الاتصال.

---

[12]– بشير العلاق، **نظريات الاتصال مدخل متكامل**، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، الطبعة العربية 10، 2010، ص ص: 21-22.

ما المقصود بالنموذج الاتصالي ؟

هو الوسيلة التي يستعملها أخصائي الاتصال لشرح الفكرة أو تحليل عناصرها، وقد تعدد نماذج الاتصال وإتجاهاتها بتعدد مداخل تقديم الفكرة وإيضاحها، غير أنها تلتقي كلها معًا حول هدف واحد هو دراسة الاتصال دراسة موضوعية وتعريفه وشرح العملية الاتصالية والعوامل المؤثرة فيها من خلال تناول الموضوع من الجانب النظري والتطبيقي لكل دراسة أو إتجاه في هذا المجال [13]، وهو مضمون علم النفس الاجتماعي الذي يستهدف بالدرجة الأولى التأثير وعوامله وأسبابه.

النموذج: هو أداة تصويرية يوفر إطارًا للافتراضات تتحدد في نطاق المتغيرات الهامة وتفرض علاقات معينة بين الأحداث التي تمت دراستها، أو هو القدرة الفائقة على التمتع بخيال خصب لخلق مشاهد كانت مخفية عن الآخري، وبعبارة أخرى، وبشكل مبسط يمكن أن نعرف النموذج بأنه[14] المجسم والمخطط الذي يوضح عملية الاتصال وكافة العناصر المكونة لها [15]

وقبل التعرض إلى أبرز النماذج الاتصالية تجدر الإشارة إلى التحدث اولاً عن الظروف وعن المبررات التي ساهمت في إستخدام هذه النماذج.

اعتبر خبراء البحث العلمي بصورة عامة والبحث في عالم الإعلام والاتصال بشكل خاص أن أي علم من العلوم لابد أن يهدف إلى تحقيق هدفين إثنين:

أولا: زيادة فهمنا للظواهر التي تحيط بالإنسان للوصول إلى تعميمات عن الظروف المحيطة مدعمة بالأدلة والحقائق العلمية الموضوعية.

ثانيا: التنبؤ للوصول إلى النتائج، وعلمية الفهم هنا تتم من مراحلها الأولى إلى النهاية بواسطة نماذج رمزية نستخدمها في حياتنا لكي تسهّل علينا فهم وإستيعاب الظواهر ومكوناتها والعلاقات والتشكيلات بين مكونات الظاهرة بكل يسر وسهولة [16].

ثالثا:وظيفة التنبؤ والتوقع، أثبت العلماء ان هناك علاقة طردية ما بين الفهم والتنبؤ، فالأخير مبني عل الفهم، كما أن الفهم هو نقطة البداية التي تنفذ منها إلى المجهول، وذلك لأننا بعد أن نفهم ظاهرة معا فهمًا مبدئيًا معينة فإننا نحاول الاستفادة من النتائج التي حصلنا عليها، أي اننا نستنتج من العلاقة الوظيفية اتي إكتشفناها نتائج أخرى أو نحاول ان نضع أو نطبق التعميم الذي وصلنا إليه على مواقف جزئية أخرى غير تلك التي إكتشفناها، وهذا من أجل الاستفادة من التنبؤ، وهنا يلتقي مفهوم النموذج بمفهوم النظرية وبشكل أدق مفهوم أو معنى القانون العلمي.

---

[13]– بسام عبد الرحمن المشاقة، نظريات الاتصال، دار أسامة للنشروالتوزيع، الأردن، عمان، ط 1، 2011، ص: 43.

[14]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[15]– المرجع نفسه، ص: 44.

[16]– المرجع نفسه، ص ص: 47–49.

ومن هنا فإن التنبؤ- وهو أساس كل عرفة علمية تجريبية- هو عبارة عن تصور النتائج التي يمكن أن تترتب على إستخدامنا للمعلومات التي توصلنا إلهيا في مواقف جديدة، ومن المؤكد أن فائدة التنبؤ ووظيفته ستساعد العالم في أي مجال من مجالات المعرفة ومنها مجال الإعلام والإتصال على زيادة الفم، لأن التنبؤ سيصبح جزءًا من خطة التحقق التي تختبر بها صحة معلوماتنا [17].

رابعًا: وظيفة التحكم:

هذه الوظيف تعتمد على الوظائف السابقة من حيث أن معنى التحكم هو معالجة الظروف التي تحدد حدود الظاهرة بشكل يحقق الوصول إلى هدف معيّن ويكون التحكم في الظاهر على قدر القدرة على التنبؤ والتحكم في الظاهرة، فالعلاقة بين التحكم والفهم علاقة متينة كما أن العلاقة ما بين التحكم والتنبؤ حتمية.

لكن هذه النماذج لا تعني بالضرورة نجاح الاتصال، فقد تتخلل العملية الاتصالية معوقات وعراقيل قد تضعف الاتصال أو تفسده بالمران بمعنى أخر أن المصمم للنموذج الاتصالي قد تواجهه جملة من الصعوبات والمعوقات نذكر منها: 1/- تجميد عملية الإتصال؛ 2/- إغفال بعض العناصر الهامة أو ترتيب العناصر ترتيبًا لا يتفق مع الواقع؛ 3/- إستخدام اللغة.

■- نماذج الاتصال:

يتميز الموقف الإتصال بكونه عملية متصلة الحلقات ومستمرة، ولا يقتصر الإتصال الإنساني من العناصر المعرفة في الإتصال فحسب وإنما لابد من ضرورة الأخذ بعين الاعتبار الخلفية الفكرية والثقافية والإجتماعية النفسية والمركز الاجتماعي والوظيفة الإدارية والسياسية المركز الاقتصادي والسن والجنس فضلاً عن المتغيرات المرتبطة بالموقف الإتصالي العام، ومن هنا فإن الإستجابة التي تحدث نتيجة لمثير معين في موقف معيّن لا تتم دائمًا بصورة منتظمة آلية حتمية مثلما يحدث في مجال العلوم التجريبية الكيميائية منها والفزيائية وحتى في العلوم البيولوجية ذلك، أن التعقيد الموجود في الموقف الاتصالي يجعل التنبؤ إحتماليا وليس حتمية قطيعة ما لم يتم تنول الموقف الاتصالي من كل الجوانب التي تشكل العملية الاتصالية كما ذكرنا أنفا.

وفي هذا الإطار نجد عددًا من المفكرين المهتمين بعالم الاتصال الإنساني قد أبرزوا أن كل إتصال يجب ان يتكون من ثلاث عناصر أو أكثر حسب نظرة كل مفكر،

غير ان الكل قد أجمع على ضرورة أن يشمل الاتصال في (3) عناصر هي: المرسل، الرسالة المستقبل، هذه العناصر بمثابة العمود الفقري للموقف الإتصالي سواء كان هذا في عصر التكنلوجيا والتمدن والتحضر أو في عصر ما قبل وسائل الإتصال الجماهيري و الثورة التي أحدثها في عالم الاتصال إلى الدرجة التي جعل من الصحافة أو الإعلام ،

---

[17]– المرجع نفسه، الصفحات نفسها.

بشكل عام، السلطة الرابعة من حيث قوة التأثير في العقل الجمعي وعلى السلطة الحاكمة على حدٍّ. وفي هذا الإطار يعتبر" **لازويل** " أوّل من عدّد عناصر الموقف الاتصالي إلى خمس عناصر، ولا تكمن أهمية موقفه الاتصالي في العدد نفسه بقدر ما كان ملفتًا للإنتباه الصورة التي عرض بها هذه العناصر والتساؤلات الخمس التي جاء في قالب فني مشوّق وسهل الحفظ وهي:

(1)- من يقول ؟ 2- ماذا يقول ؟ 3- وبأي وسيلة ؟ 4- وإلى من ؟ 5- وبأي تأثير ؟ وقد أضاف بعض المفكرين بعض التفاصيل تتمثل في عناصر أخرى أهمها [18].

1/- الموقف الإتصال؛ 2/- الهدف الذي تسعى إليه عملية الاتصال لتحقيقه،

3/- رجع الصدى من المستقبل إلى المرسل بإعتبار أن المستقبل ليس جهازا عاكسا للرسالة أو جهاز تسجيل وإنماهو مفسر للرسالة وله موقف منها،

4/- الإطار الدلالي أي الخبرة المشتركة بين المرسل والمستقبل، أي لابد من معرفة موضوع الاتصال هل هو سياسة أم إقتصاد أم...بالإضافة إلى اللغة المستعملة.

■-نماذج الاتصال:

إنطلقت الدراسات المتعلقة بنظريات الاتصال من أفكار أفلاطون وأرسطو، حيث إهتم الأول بمناقشة الدعاية من خلال الخطابة، حيث اعتبرها رسالة إتصالية تهدف إلى التأثير على عقول الجماهير والسيطرة على سلوكهم لأغراض مشكوك فيها وهي بهذا المعنى نوع من الإنقاع. أما أرسطو فقد إهتم بأنماط العلاقات التي كانت قائمة بين المدن الاغريقية، وتلعب الخطابة دور الأخصائي في الإتصال الإنساني الاجتماعي للتأثير على الجماهير.

وقد أدت الدراسات المستفيضة لموضوع اتصال الإنساني إلى ظهور نماذج يسعى أخصائيو الاتصال، من خلالها- إلى محاولة جعل الاتصال موضوعًا للدراسة الموضوعية، وقد بدأ يُنَظرون لهذا النوع الهام من العلوم الإنسانية، بل هو أساس الحياة الاجتماعية للإنسان بإعتبار أن الإنسان هو بالفكر كائن متصل كفرد ليضمن بقاءه أولا ثم تبادل المنافع الخاصة وكجماعة أو أمه لتلاقح الثقافات وتبادل المنافع العام. وإذا كانت النظريات الحديثة في علوم الاتصال قد إرتبطت بظهور وسائل الاتصال الجماهيري، فإن الاهتمام بموضوع الاتصال.

بدأ مع ظهور علوم إنسانية وفنون إنسانية ولكن في صور وأشكال مرتبطة بنوع العلم أو الفن أو الأدب وهي- وغيرها- كلها أدوات إتصال، ففن الطابة قديمًا كان بمثابة علم الإتصال مادام يستوفي عناصره الأساسية كالمرسل (الخطيب) والمستقبل (الجمهور) والرسالة (الخطبة) وحتى باقي العناصر كرجع الصدى أو على الأقل مراعاة أسباب اناح الخطيب في التأثير على عقلية ونفسية وسلوك الجمهور المتلقي للرسالة الاتصالية (مضمون الخطبة).

---

[18]– أحمد بدر، **الاتصال بالجماهير والدعاية والإعلام**، الكويت

وفي نفس الأمر يصدق على فن التاريخ أو علم التاريخ فهو الآخر يشمل كل عناصر العملية الاتصالية لكن بالأدوات التي كان يمتلكها المؤرخ وهي فكرية وأخلاقية ومنهجية وليست تقنية كما هي عليه اليوم.

وعن مفهوم اللّغة فإن للفلاسفة وعلماء اللسان مذاهب وإتجاهات شتى وهي وإن إختلفت في ظاهرها فإنها تصب في وعاء ومصبٍّ واحد هو أهميتها في حياة الإنسان المتحضر أساسها لكل تطور. فـ" سقراط " أبو الفلسفة فقد ربط الفكر باللغة، ولايمكن أن يكون الفكر إلاّ باللغة فقال: " حينما يفكر العقل يتكلم إلى نفسه " ومعنا أننا كما يقول " **هيجل**" : " **نفكر داخل الكلمات** " أما عالم اللسانيات " **دولاكروا** " فيرى أن العلاقة بين اللغة والفكر علاقة وجود، إذ وجود اللّغة هو نتاج الفكر، ووجود الفكر يتسع بإتساع اللغة التي ينتجها، وقد عبر عن هذه العلاقة بقوله: " إن الفكر يصنع اللغة في الوقت الذي يُصنع فيه الفكر من طرف اللّغة ".

من هنا نلخص إلى القول أن عملية الاتصال تتم بمستويات مختلفة من حيث إستخدام اللغة والإشارات والرموز حسب مجالات الحضارة والطبيعة الاجتماعية للإنسان ويمكن إجمالها مع " **حسن عبد الجبار** " في ثلاثة مستويات هي [19].

1)- مستوى التزوج المالي وهو المستعمل في الأدب و (فروعه)؛

2)- المستوى العلمي النظري وهو المستعمل في العلوم (الحسية منها والعقلية)؛

3)- المستوى الاجتماعي الوظيفي الهادف الذي يستخدمه علم الإتصال والإعلام بمختلف انماطه، دون إغفال الوظيفة الاجتماعية للغة خارج الأطر المنظمة من علوم طبيعية وإنسانية، والمقصود بها اللّغة المستعملة في الاتصالات الشعبية اليومية في مختلف الأطر الإجتماعية (الأسرة، المؤسسات التعليمية والإدارية و...) ولا يخفى أن هذه المستويات موجودة في كل مجتمع بغضِّ النظر عن مستواه الحضاري، ما يعبِّر على تجانس المجتمع وحيويته وثقافته. هذه العلاقة الوطيدة بين اللغة والاتصال تجعلنا نبحث عن أبرز النماذج اللغوية للإتصال إنطلاقا من قناعتنا أن اللّغة كانت وماتزال الأداة الرئيسة للإتصال والتفاهم بين الناس، وهي القناعة التي توصل إليها كل من علماء اللغة وعلماء الاتصال.

إتفق كل من علماء اللغة وعلماء الإتصال على إعتبار كل ما يدور في ذهن الإنسان " لغة ولا تهم الوسيلة إن كانت صورة، أو فعلاً أو موسيقى أو إشارة فيزيولوجية طالما حققت هدفًا وهو نقل رسالة ما إلى الآخرين، ويرى بعض اللغويين أو علماء اللسان ضرورة توفر خاصيتين أساسيتين في اللغة هما:

1- أن تتكون اللغة من مجموعة من المفردات تتحكم في تركيبها وترتيبها قواعد خاصة تعطي هذه المفردات معان خاصة.

---

[19]– حسين عبد الجبار، مرجع سابق، ص: 60.

2- أن يكون لبعض المفردات نفس المعنى نفس المعنى الذي تعبّر عنه مجموعة من المفردات الأخرى (أي المرادفات) وهذه الخاصية هي التي دعت إلى إنشاء القواميس والمعاجم اللغوية.

وبناء على هذين الشرطين قسم علماء الاتصال الإنساني اللغة إلى مجموعتين إثنتين:

أولا: الإتصال للفظي:

والمقصود بالإتصال اللفظي، كل أنواع الإتصال التي يُستخدم فيها اللفظ أ الكلمة كأداة للإتصال (نقل الرسالة من المصدر إلى المتلقي) ويكون هذا اللفظ منطوقًا فيدركه المستقبل للرسالة بحاسة السمع،

وقد استعمل هذا النوع من الاتصال إنسان ما بعد الحياة البدائية حيث أصبح قادرًا على إبتكار كلمات يعبر بها عن مشاعره وقد كانت يعبّر بها بإشارات بدائية أو بتعابير فيزيولوجية.

ومن أبرز النماذج اللغوية (اللفظية):

نموذج " **كينيث** " ونموذج " **لاسويل** " ونموذج " **فرانكلين فيرنيج** " وكلها نماذج تبحث بطرق علمية عن العلاقة بين اللغة كأداة تعبر عن الأفكار والأحوال والحاجات، والإتصال كظاهرة إنسانية إجتماعية لا مناص منها.

⇦- نموذج كينيث بريك:

إقترح هذا الأخصائي نموذجًا لغويًا للإتصال حاول من خلاله دراسة الاتصال الإنساني وقد ضمنه خمس مجالات هي [20]:

1/- العمل الذي يحدث (الحدث أو الفعل)؛

2/- خلفية عن العمل (معلومات عن الحدث)؛

3/- القائم بالإتصال (المرسل)؛

4/- الوسائل المستخدمة (القناة)؛

5/- البنية أو الدوافع (الغاية).

يشار إلى أن الأساليب الاتصالية تكون قد اعتمدت على نموذج أرسطو الكلاسيكي على الرغم من أنه لم يستفد من التطور التقني الحاصل في عالم الإتصال لأن تركيز أرسطو الطبيعة الإنسانية، ومن منطلق كونه فيلسوفًا ركز على المبادئ العقلية والنفسية وكذا الاجتماعية، كما ثم الإعتماد على نموذج " **كينيث بريك** ":

■-- نموذج " لا سويل ":

يعتبر " لاسويل " من رواد علم الاتصال الأوائل الذين نظروا إلى الاتصال نظرة أكثر شمولية وإحاطة، كما ركز على عامل التأثير كغاية أساسية في كل عملية إتصالية،

[20]– بسام عبد الرحمن المشاقبة، **نظرياتالإتصال**، مرجع سابق، ص: 63.

ويرى هذا العالم المختص في العلوم السياسية وعلوم الاتصال أنه من الممكن وصف السلوك الاتصالي عندما نتمكن من الإجابة على الأسئلة الخمسة أو الشقيقات الخمسة- كما يرغب في تسميتها هو- وهي: (1)- مَن ؟ ؛ (2)- يقول ماذا ؟ ؛ (3)- بأي وسيلة؛ (4)- لمن؛ (5)- وبأي تأثير ؟

لكن لم يقتصر علىالإتصالعلى هذين النموذجين فقط، وإنما ظهرت عدة نماذجأخرى كلها تسعى لجعل الاتصال متكاملا ومحققًا للنجاح وهي الغاية التي تأسست هذه النماذج ومن المحاولات الجادة في هذا الاتجاه يوجد نموذج الباحث " **جيربنجر**" الذي كان أكثر تفصيلاً لعملية الإتصال حيث يذكر عشرة متغيرات أساسية تمثل العناصر الرئيسية في كل عملية إتصالية وهي [21]: 1)- شخص ما، 2)- يدرك حدث ، 3)- يقوم برد فعل، 4)- في ظرفهما، 5)- بوسائل معينة،6)- لتوفير ما، 7)- بشكل ما، 8)- بشكل ما، 9)- ينقل فيه مضمون؛ (10)- له نتيجة معينة.

أما الباحث " **جيربنجر** " فقد فصل في عناصر الإتصال فذكر عشرة متغيرات أساسية تمثل- في نظره – العناصر الرئيسة لعملية الإتصال وهي [22].

1- شخص ما، يدرك حدث، 3- يقوم برد فعل، 4- في ظرف ما، 5- بوسائل معيّنة، 6- لتوفير مادة، 7- بشكل ما، 8- و إطار، 9- ينقل فيه مضمون، 10- له نتيجة معينة.

ومن خلال النظر في هذا النموذج العُشري الذي صممه " جير بنجر " عام 1956، يمكننا صياغة هذه المتغيرات في شكل العبارة التالية: شخصُ ما يرى حدثًا يستجيب له، في موقف ما، ببعض الوسائل، بتوفير المادة المتاحة، بشكل ما، في سياق ما لتنقل مضمونًا له بعض النائج. وتجدر الإشارة هنا إلى ان هذا النموذج قد قدم إضافات هامة مثل السياق الذي تتم فيه العملية الاتصالية والتغذية التعليمية (الرجعية)[23].

غير أن هذا النموذج- رغم شموليته وصورته التفصيلية- إلاّ أنه لم يسلم الانتقادات حيث سجل عليه بعض علماء الإتصال إهماله لعنصر التشويش كمتغير مستقل في العملية الإتصالية.

ثانيا: الإتصال غير اللفظي:

يتميز هذا النوع من نماذج الإتصال كونه يشمل كل أنواع الإتصال التي تعتمد على اللّغة غير اللفظية، وأحيانًا يطلق عليها إسم اللغة الصامتة أو اللغة الطبيعية أو اللغة العالمية كونها أدوات غير لفظية ولا ترتبط بأي نموذج للحروف والرّموز والاشارات اللفظية التي

---

[21]– المرجع نفسه، ص: 64.

[22]– جيربنجر، **النموذج العام للإتصال**، ص: 11.

[23]– المرجع نفسه، ص: 26.

تخصّ شعبًا من الشعوب. وقد قسم علماء الإتصال هذا النوع الإتصالي إلى ثلاثة لغات هي :[24]

1- لغة الإشارة؛ 2)- لغة الحركة؛ 3)- لغة الأشياء.

لكن هذه اللغات لا تشمل كل أنواع الإتصال غير اللفظي فقد يقوم الإنسان بعملية إتصال خارج هذه اللّغات، وهو ما ذهب إليه " راندال هاريسون " الذي سجَّل أن الاتصال غير اللفظي يتعدى هذه الأصناف الثلاثة ليمتد ليشمل التعبيرات الفيزيولوجية من تعبيرات الوجه والايماءات والأزياء والرموز والرقص والبروتوكولات الديبلوماسية، وبناءًا على تصوره هذا فقد قسم أنواع الإشارات غير اللفظية إلى العناصر التالية:

1- رموز الأداء: وتشمل حركة الجسد مثل تعبيرات الوجه وحركة العيون والإيماءات، كما أطلق عليه إسم شبه اللغة مثل نوعية الصوت كالضحك والنبرات الصوتية.

2- **رموز إصطناعية:**وتشمل الملابس والأثاث وأدوات التجميل...

3- رموز إعلامية:وتستعمل في مجال الإعلام من خلال إستخدام وسائل الاتصال الجماهيري، مثل نوع الصورة والألوان والظلال ونوع اللفظة التلفزيونية من بعيدة أو متوسطة أو معرفية، ومثل حجم النمط، وكذلك أسلوب إستخدام الموسيقى والمؤثرات الصوتية.

4- رموز ظرفية:وهي رموز ناتجة عن إستخدامنا للوقت (مناسب غير مناسب) وإستخدامنا للمكان من خلال ترتيب المتصلين والأشياء حولهم كترتيب جلوس الزوار حسب أهميتهم الاجتماعية او تجاهل نعرفه بطريقة متعمدة.

■- مهام نموذج الإتصال غير اللفظي:

يتميز الإتصال غير اللفظي بخاصية المرونة، كما يتميز بوظيفة التأكيد على الرسائل الاتصالية، وهذا ما توصل إليه الباحثون وعلى رأسهم الباحث " مارك " الذيب أبرز العلاقة بين النموذجين الاتصاليين اللفظي وغير اللفظي، حيث حدد عدة مهام للإتصال غير اللفظي في علاقته مع الاتصال اللفظي وهي [25].

1)- الإعادة والتكرار: يؤكد الاتصال غير اللفظي الاتصال اللفظي، كأن نقول " **نعم** " ثم نؤكد ذلك بإشارة باليد، وبنبرة صوتية أو كلاهما، وهو ما يزيد في تقوية المعنى أو تثبيتها حسب الحالة.

2)- **التناقض أو التعاكس**: في هذه الحالة يمكن للإتصال غير اللفظي أن يخالف تماما الإتصال اللفظي، كأن نقول " نعم " ونشير باليد أو بالرأس بها يفيد " لا " وكمثال على ذلك يحدث أن يطلب المدير من موظفه أن يُحضر له أورقًا معينة أمام أحد المتعاملين، ثم يعطي الموظف إشارة بعدم إحضار هذه الأوراق- أي إشارة معاكسة- ويعود الموظف بعد تلقي هذه

---

[24]- حسن مكاوي، **نظريات الإعلام**، الدار العربية، 2009، ص: 18-19.

[25]- جهان رشتي، **الأسس العلمية لنظريات الإعلام**، دار الفكر العربي القاهرة، 1979، ص: 19.

الإشارة قائلاً أنه لم يجد هذه الأوراق، وهنا يكون الموظف قد تلقى رسالتين في الوقت نفسه: إحداهما لفظية والأخرى غير لفظية، وإحداهما تناقض وتلغي لأخرى.

3)- البديل: يمكن للإتصال غير اللفظي أن يكون بديلاً عن الإتصال اللفظي، فتعبيرات الوجه أحيانًا تغنينا عن الإتصال اللفظي، وكذلك الإشارات والإيماءات، وقد تكون أبلغ من أي إتصال لفظي بل قد تكون أحيانًا أصدق.

4)- معدل أو مكمل:يمكن للإتصال غير اللفظي أن يكل الإتصال اللفظي مثل: الابتسامة بعد أن نطلب شيئا من شخص أو التهجم عليه.

5)- التأكيد:وفيه يكون الإتصال غير اللفظي مؤكدًا على شيء إما بالنبرة الصوتية أو إشارة جسدية المصاحبة للرسائل اللفظية

6)- التنظيم:يمكن للإتصال غير اللفظي ان يقوم بوظيفة تنظيميه كأن يقوم القائم بالإتصال بتنظيم المشاركين بواسطة حركة الرأس أو العينين أو الأمر بتغيير المكان أو الأمر بالإقبال أو الإدبار، أو إعطاء إشارة لشخص ليمل الحديث أو أن يتوقف عنه.

وتأسيسًا على هذه المهام التي يقوم بها الاتصال غير الشفوي يمكن القول أن الإنسان لايمكنه أن يستغني عن أحدهما بالآخر قديمًا وحديثًا قد تكون العلاقة بينهما علاقة وجود (يوجدان معًا في الرسالة الاتصالية الواحدة) وقد تكون علاقة منفصلة (كل منهما يقوم برسالة إتصالية منفصلة عن الآخر).ذ

قارنة بين الإتصال اللفظي الإتصال غير اللفظي:

يلتقي الاتصال الشفوي مع الاتصال غير الشفوي نقاط ويفترقان في نقاط:

أوجه التشابه:

يعتبر كل من الاتصال غير الشفوي والإتصال الشفوي خاصية إنسانية لأنهما من إنتاج الانسان وإذا الاتصال غير الشفوي يشترك في بعض جوانبه مع الغريزة إلا انه يختلف معه في كونه مكتسبا وهو ما يجعله يختلف احينا من مجتمع لأخر.

كلاهما يستخدم رموزً لها معانٍ، وكلاهما قابلان للتطور والإبداع

أوجه الإختلاف:

يختلف الإتصال غير الشفوي(غير اللفظي) في عدة نقاط يمكن إجمالهم في المحاور التالية:

- **المحور الأول**: إذا كان الإتصال اللفظي اللغوي تتحكم فيه قواعد اللغة فإن الإتصال غير اللفظي اللغوي تتحكم فيه الإشارات الرموز.
- **المحور الثاني**: يقتصر الاتصال اللغوي الشفوي على المجتمع الواحد حسب لغته وتختلف الكلمات من مجتمع إلى آخر، مما يمنع الاتصال بين اللغات المختلفة، فالغضب مثلا له نفس المظاهر عند كل الناس وكذلك سائر التعابير الفيزيولوجية الإشارات بالرغم من وجود بعض الإشارات التي تختلف من مجتمع إلى أخر حب إختلاف الثقافات ففي أحدى قبائل " الطوغو " بإفريقيا إشارة " نعم " بالرأس تعني عندهم " لا " والعكس صحيح !!
- **المحور الثالث**:يكتسب الإنسان اللغة اللفظية في مرحلة متأخرة إبتداءًا من مرحلة الطفولة عن طريق التنشئة الإجتماعيية فيتعلم لغة الأم ثم المجتمع الذي ينشأ فيه وهذا ما يفسر إختلاف اللغات،

بينما تظهر اللغة غير اللفظية منذ الولادة حيث يتعلم لغة الإشارة أولا ولغة التعبيرات الفيزيولوجية، أي هناك تتابع زمني بين الاتصال غير اللفظي الذي يكون أولا ثم بعده يأتي الاتصال اللفظي.

المحور الرابع: يجتهد الإتصال اللغوي في التعبير عن العواطف بصدق أو بغير صدق بينما الاتصال غير اللغوي يكون أكثر تعبيرًا عن العواطف والانفعالات أي أن الاتصال غير اللفظي أصدق من الاتصال اللفظي في التعبير عن الأفكار والمشاعر.[26]

[26]– بسام عبد الرحمن المشاقبة، **نظريات الاتصال**، مرجع سابق، ص: 70.

■- نظريات التأثير:

هناك موضوعات احتلت الآن مكانة على الساحة ومنها موضوع التأثير، وهو ما أصبحت تركز عليه وسائل الإتصال الجماهير لما لها من دور على التأثير في أفكار وذهنية وسلوك الناس.بعد إقتناع كل المهتمين بشأن الاتصال الجماهيري بالدور الفعال في المشهد الإعلامي وأثره على التغيير الاجتماعي عن طريق وسائل الإعلام،

طُرح السؤال هل هذا التأثير سلبي أم إيجابي ام أنه سلبي وإيجابي في ذات الوقت ؟ وهل يجب أن يشمل جميع الأفراد بنفس الطريقة أم أنه يختلف من مكان إلى أخر حسب المتغيرات الثقافية والإيديولوجية التي يتبناها كل فرد ؟ وهل يُفترض أن يحدث التأثير لكل أفراد المجتمع أم يخص الطبقة المستفيدة من وسائل الجماهيري فقط والمستهلكة لمضامينها فقط ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات يمكن الإشارة إلى ما توصل إليه أهم وأبرز العلماء الذين إهتموا بدراسة الإقناع في وسائل الاتصال الجماهيري وهما " هوفلاند " (**Hovland**) و " جنيز " (**Janis**)، حيث توصلا إلى عدة أسباب بإمكانها أن تؤدي إلى التأثير بواسطة هذه الوسائل الاتصالية.

ومن أهمها:

صحة المصدر المقتبس منه الموضوع (وهنا تجدر الإشارة إلى مصداقية المعلومة أو المحتوى الإعلامي) ثم أهمية الموضوع بالنسبة للمستقبل (وهنا أيضًا لابد من الإشارة إلى ضرورة بذل الجهد المطلوب من طرف القائم بالإتصال من حسن إختيار المضامين الإعلامية التي تهم الجمهور المستقبل للرسالة الاتصالية).

وقد إهتم بعض علماء النفس الاجتماعي بدراسة ظاهرة تأثير الإعلام، حيث إعتقد أن دوره سواء كان إيجابيا أم سلبيا يؤثر في الفرد ذاتيا (أي تأثيرًا نفسيًا أو علاقته بالآخرين من حيث أنه تأثير اجتماعي.ويعتبر كل من " **فرنش** " (**French**) و " **ويفر** (**Raver**) من أهم العلماء الذين إستهواهم هذا الموضوع وقد توصلا إلى خمسة معايير أساسية بإمكانها أن تؤثر على الفرد وهي في مجملها [27]:

1)- الجانب الاجتماعي، ويتمثل في القوة الاجتماعية، وفيه يعتمد هذه القوة على القيم والأفكار التي يؤمن بها المجتمع ولابد أن تقابل بإستحسان من قبل الأفراد.

2)- التقدير، ويعتمد هذا المعيار على تقدير الأفراد بإعطائهم الحوافز، ونشر ذلك في وسائل الإعلام لتحفيز الآخرين بتقليدهم.

3)- القوة المستهدفة، وتعتمد على دور الإعلام في تحقيق القوة التي يبصل إليها الفردوإنعكاس ذلك على المجتمع.

---

[27]– طه عبد العاطي نجم، **الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث (الموضوع والقضايا)**، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 008، ص: 22.

4)- القوة التشريعية، وتتمثل في الدور الذي يجب على الإعلام أن يقوم في تقبل الأفراد للقوانين التي يضعها الحاكم ولأفكاره [28].

5- الخبرة، ويعتمد هذا المعيار على أن الإعلامي لابد أن يقوم بدور الخبير الذي يعرف الموضوعات التي تهتم المستقبل ويحاول أن يقدمها في وائل الإعلام المختلفة هذه المعايير تبدو متكاملة تجمع بينت ماهوإجتماعي نفسي وسياسي، ويبقى رجل الإعلام هو أساس كل عملية إتصالية ناجحة من حيث بلوغ الهدف وهو التأثير، وما ينبغي الإشارة إليه عموما هو أن تأثير الإعلام لا يقتصر فقط على الأفراد، بل يؤثر أيضًا على المجتمع أو على الثقافة أو كليهما معًا، حيث يستطيع التأثير في معتقدات الأفراد وقيمهم وإختياراتهم، كما يستطيع التأثير من خلال صياغة السياسات العامة ونقل التكنولوجيا، ولا يخفى على الوظيفة الأساسية التي تلعبها وسائل الإتصال وهي إستمرار تدفق المعلمات والتي بإمكانها أن تحدث تأثير عميقًا في التغيير الاجتماعي، فتحت تأثير محتوى وسائل الإتصال الجماهيري يغير المجتمع أفكاره ومعتقداته وسلوكه، ونمط حياته وبتأثيرها أيضًا يكتسب الأفراد مصطلحات جديدة تكررها وسائل الإتصال على الدوام تساير وسائل الإعلام الجماهيري تغيير السياسات الحكمية كالإنتقال من المجتمع الاشتراكي إلى المجتمع الرأسمالي، أو من النظام الملكي إلى النظام الجمهوري، بل تستطيع هذه الوسائل ان يلعب دورًا أساسيا في المساعدة في عمليات التغيير الاجتماعي بطريقة سريعة والمتتبع لتأثير وسائل الإتصال في الحياة العامة يدرك أن تأثير هذه الوسائل في المجتمع والثقافة أقل من تأثيره في الأفراد.

وهذا معروف لدى الكثير من الناس وأن تأثير الوسيلة الإعلامية في الأفراد مردها إلى درة الثقة التي يضعها الفرد في الوسيلة وفي إيمانه بالمعلومات والآراء المواضيع المختارة وكذا فيالتفسيرات التي تنقلها وفي الكيفية التي تقدم بها المحتويات الإعلامية إذ يلعب الشكل دورً أساسيًا في عملية التأثير على عقول المستهلكين للمواد الإعلامية مادامت وسائل الإعلام تختلف فيما بينها من حيث درجة الثقة لدى الأفراد فيما تقدمه من مواد إستهلاكية فمن الطبيعي أن تتوقع إختلافات بين الوسائل من حيث فاعليتها وتأثيرها.

■-أنواع نظريات الإتصال:

الإتصال كموضوع للدراسة كان ومايزال يثير إهتمام الباحثين سواء من خلال علماء الاجتماع أو أخصائي الإعلام والاتصال، ولعل من المفيد قبل التطرق إلى أنواع نظريات الإتصال الحديثة التي وجدت مع الانفجار الصناعي وظهور وسائل الإتصال الجماهيري أن نلقي نظرة إلى الوراء إلى حيث الخطوات الأولى التي سار عليها علم الإتصال، وفي هذا الإطار يبيّن المؤرخ والكاتب الإنجليزي **" ويلز "(H.G. Wells)**أن: " تطور التاريخ الإنساني هو ظاهرة اجتماعية واحدة كدفع بالإنسان إلى الإتصال بأخيه الإنسان، في مكان آخر أو مجتمع آخر ".وما يفهم من هذا الكلام أن قصة التطور التاريخي البشري هي ذاتها

[28]– المرجع نفسه، ص: 26.

قصة تطور عملية الإتصال ذاتها، ويقسم ذات المؤرخ عملية الإتصال بوصفها ظاهرة إنسانية إجتماعية إلى خمس متعاقبة هي: الكلام الشفهي، الكتابة بالحروف، إختراع الطباعة، المرحلة العالمية، وفي الأخير مرحلة الإذاعة والإتصال الإلكتروني، وعلى هذه المرحلة الأخيرة لتطور الإتصال أصبح للوسائل الإلكترونية – من أجهزة المذياع، التلفزيون وأخيرا " شبكة الإنترنت ، دورًا هامًا في حماية المجتمع، حيث بفضلها إستطاع الإنسان ينقل أفكاره ومشاعره وخبراته ومعلوماته دون حواجز جغرافية حيث أصبحت السماء مفتوحة وتقلص العالم ليصبح في حجم حيٍّ من الأحياء، بل لا نكون مبالغين عند القول ان الكون أصبح محصورة في مساحة شاشة الكومبيوتر أو مساحة شاعة الهاتف الذكي، هذه النهاية لتطور الإتصال أقصد المرحلة الأخيرة

لحد الآن كان قد أشار إليها عالم الاجتماع الكندي " **مارشال ماكلوهان** " (1911-1980) وأحد المثقفين والمنظرين في علم الإتصال وأحد المؤسسين للدراسات المعاصرة على وسائل الإتصال الجماهيري.

■-نظرية ماكلوهان:

إنصبإهتمام- ماكلوهان- كأحد رواد هذا المجال- على دور وسائل الاتصال والإعلام وتأثيرها على المجتمعات، وقد إستفاد من خلفيته الفكرية في صياغة نظريته في الإتصال، فكونه عالم اجتماع ينظر إلى الاتصال نظرة علمية لتفسير التغيير الاجتماعي، بأحد أهم عوامله وهو الوسائل الإلكترونية الجماهيرية، ورغم أن تاريخ ظهور هذه النظرية يفوق أربعين عاما مضت إلا أنه ماتزال حتى اليوم أكثر النظريات الاتصالية إنتشارًا ووضوحا في الربط بين الرسالة والوسيلة الإعلامية. وإذا كانت عبارته الشهيرة: " أن الكون أصبح عبار عن قرية صغيرة " لاتزال تردد حتى الآن على ألسنة المهتمين بالإعلام والمشتغلين فيه فإنه هو أيضا الذي اكد على أهمية الوسيلة الإعلامية الالكترونية في تحديد نوعية الإتصال وقيمته وكفاءته ومن ثمّ تأثيره في الجمهور وصناعة المجتمع.وفي هذا يرى " **مكلوهان** " أن " الوسيلة هي الرسالة، وهناك تكمن أهمية " الشكل " قبل أهمية " المضمون " حيث أصبح الجمهور يتأثر بوائل الاتصال ذاتها تماما كما يتأثر بالرسائل التي تبثها، أي لايمكن فصل مضمون الرسائل الاتصالية عن تقنيات الوسائل الإعلامية، بل باتت طبيعة وسائل الإعلام التي يتصل بها الإنسان تشكل المجتمعات اكثر مام يشكِّلها مضمون الاتصال ذاته [29]. ويبيّن " **مارشال ماكلوهان** " وظيفة وسائل الإتصال الجماهيري وتأثيرها على ذهنيات الأفراد وتوجيه سلوكهم، ويرى الوسائل الإعلامية التي يستخدمها المجتمع هي التي تحدد طبيعة هذا المجتمع أو ذاك، وهي التي تحدد كيفية معالجة مشاكله، ومهما كان نوع الوسيلة المستخدمة فإنها تشكل ظروفا معينة وبالتالي تؤثر على الطريقة التي يفكر بها أفراد المجتمع ويعملون وفقها.

---

[29]– المرجع نفسه، ص ص: 56–57.

ومن جهته عرّض " ماكلوهان " أربع مراحل تعكس- في نظره- التاريخ الإنساني في علاقته مع ظاهرة الاتصال وهي:

1)- المرحلة الشفوية، وتمثل أولى مراحل التطور في حياة الإنسان، وهي المرحلة القبلية، ومرحلة ما قبل التعلم

2)- مرحلة كتابة النسخ: وهي المرحلة التي ظهرت فياليونان القديمة وقد إستمر ألفي عام.

3)- عصر الطباعة: وهي المرحلة التي ظهرت مع ظهور الطباعة اليد " **غوتنبرغ** " وتمتد من منتصف القرن الخامس عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر والبداية الأولى من القرن العشرين.

4)- عصر وسائل الإعلام الإلكتروني: وهو العصر الذي بدأ مع ظهور وسائل الاتصال الجماهيري وتبدأ من مطلع القرن العشرين ويمتد إل اليوم، ويؤكد " ماكلوهان " ثانية أن طبيعة وسائل الإعلامية المستخدمة في كل مرحلة هيب التي تساعد على تشكل المجتمع أكثر مما يصنعه مضمون تلك الوسائل على هذا التشكيل المجتمعي [30].من أهم ما جاء به " ماكلوهان " عن تأثير وسائل الاتصال أنه قسم هذه الوسائلإلى قسمين إثنين :

أولهما: وسائل باردة: ويقصد بها تلك التي تتطلب من المستقبل جهدًا إيجابيا في المشاركة والمعايشة والاندماج فيها.

ثانيها: الوسائل الساخنة، والمقصود بها تلك الوسائل الجاهزة المحددة نهائيا والتي لا تحتاج إلى المشاهد أو المستمع إلى جهد يبذل أو مشاركة أو معايشة.

فالكتاب والهاتف والتلفزيون تُعد وسائل باردة، أما الطباعة والإذاعة والسينما فهي بمثابة وسائل ساخنة. ومهما قيل عن أفكار " ماكلوهان " وقيمتها فإن ما جاء به يجعلنا نتساءل عن قدرة هذه الوسائل الإلكترونية على تغيير الانسان.

وبيّن للعيان أن أثر أفكار " ماكلوهان "، والتي يسميها هو إختبارات أكثر منها نظر أصبح واضحا نظر ماكلوهان إلى وسائل الاتصال الالكترونية من خلال الوظيفة التي تؤديها في المجتمع ليس قط المحلِّي وإنما المجتمع العالمي.

فحسبه أن تكنولوجيا الاتصال الجماهيري قد ساهمت في انكماش الكرة الأرضية وتقلصها في الزمان والمكان حتى أطلق عليها إسم " **القرية العالمية** " وهو ما يزيد في وعي الانسان بمسؤوليته إلى درجة قصوى، لأنه يرى أن الحالة الجديدة أدت إلى ما يمكن تسميته بـ" **عصر القلق** " بإعتبار ان الثورة الإلكترونية تفرض على الفرد الانخراط في عملية التغيير وذلك من خلال الإلتزام والمشاركة بعمق، ومهما إختلف المختصون مع وجهة النظر هذه إلا أنها تبقى وجهات نظر جزئية رغم أهميتها إلا أنها ولا ولن تغير عصر الكهرباء و الالكترون الآلي الفوري الذي مازالت أهميته تزداد أكثر فأكثر. إنتقاداتنا إلى إختباراتنا "

---

[30]– دون إسم المؤلف، **نظريات الإتصال**، كتاب إلكتروني على شبة الإنترنت.

ماكلوهان " وإختلافنا معه في بعض الجزئيات- و وهذه الحالة صحية أيضا- لا يجعلنا نغفل على الأهمية القصوى لأفكار هذا الاخصائي الرائد في عالم الإتصال، وربما يكون هذا الرأي وغيره يمثل الأرضية النى نبع منها مفهوم العولمة الذي أصبح مع مطلع هذا القرن الواحد والعشرين حقيقة واقعة [31]. وإذا كان " ماكلوهان " قد تطرق إلى أشكال الاتصال تاريخيا وعدها أربعة أشكال إلا أنه قد حصرها في نوعين أساسيين هما:

1)- الاتصال الشفهي:

يرى " ماكلوهان " أن الناس يتكيفون بطبيعتهم مع الظروف المحيطة بهم عن طريق الحواس الخمسة بعضها مع بعض، وأن التطور الذي يحصل نتيجة أي إختراع تكنولوجي جديد فإنه يعمل على تغيير التوازن بين الحواس ويضرب مثالاً على ذلك، فقبل إختراع الطباعة على يد " **غوتنبرغ** " وظهور الحروف المتحركة، كان التوازن القبلي القديم يسيطر على حواس الناس، فكانت حاسة السمع هي المسيطرة، لأن الإنسان في عصر ما قبل التعلم كان يعيش في عالم به أشياء كثيرة فيالوقت نفسه، وكان الزمن والمسافة يتم إدراكهما، وأما الشعر الذي كان يُـغنى به فإنه كان يعتبر من أكبر أدوات التحضر، وكان الاتصال الشفوي هو الرابطة مع الماضي، حيث كان الإنسان يعتمد على الكلمة في التواصل بإعتبارها أُسس العملية الاتصالية، لأن الكلمات لا تير إلى الكلمات وإنما هي الأشياء ذاتها، وكانت ذاكرة الانسان في هذه المرحلة قوية جدا، وأن كل الصور الذهنية التي تصاحب أفكاره هي سمعية، وهو يستخدم حواسه ولكن في حدود الصوت. ومادام الناس يحصلون على المعلومات من بعضهم البعض عن طريق السماع عن قرب، فقد دفعهم ذلك الواقع إلى الاقتراب من بعضهم البعض فإنتظموا في شكل قبائل، ومادامت الكلمات الوسيلة الوحيدة في عملية الاتصال، فإنهم كانوا يصدقون بعضهم البعض، وكان الاستماع يعني لهم الإيمان.

وما يميز الاتصال السمعي هو أنه أكثر عاطفة وهو ما يعرضه إلى إنتشار الاشاعات، بالإضافة إلى السطحية والبساطة.

وبعد ذلك جاءت الكتابة وهي الوسيلة التي جعلت دورة الحضارة الإنسانية تنطلق، وكانت بمثابة الخطوة العملاقة لتجاوز الاتصال البدائي، لأن اليد التي ملأت جلود الحيوانات بالكتابة هي نفسها اليد التي بنت المدن.

2)- الإتصال المطبوع:

إنتقلت أوعية تخزين الموروث الثقافي من ذاكرة الأجيال إلى التخزين عن طريق الحروف الهجائية، وهنا حلّت العين مكن الأذن، وهنا يرى " ماكلوهان " أن الصحافة قد إنتقلت نقلة نوعية بعد إكتشاف الطباعة، التي أحدثت ثورة كبرى تحررت بها الإنسانية من سيطرة القوى المحافظة لمؤسسة القبيلة والكنيسة، وبهذا الكشف العظيم بدأ التنوير يعم

[31]– بسام عبد الرحمن المشاقة، **نظريات الإتصال**، مرجع سابق، ص: 158.

أوروبا والعالم معًا وذلك بازدياد عدد الكتب وإنتشار القراءة والكتابة وأصبح الفرد يحصل على معلومتاه بنفسه دون تدخل من أي سلطة كانت خاصة سلطة الكنيسة.

ولم يقتصر فضل الطباعة على مجرد الكتابة والقراءة وإنما كان لها دورًا أساسيًا في نقل الإنسانية وخاصة المجتمع الأوروبي من عصر الظلام إلى عصر النور، فبفضل الطباعة إنتعش الفكر الحر وكثرت الكتابات التنويرية وظهور القوميات الأوروبية بداية القرن التاسع عشر، كما دعمت الطباعة الأفكار الإصلاحية الدينية البروتستانتية، وأرخت لسيطرة التكنولوجيا والمنطق المكتوب، كما أنه ساندت حركة تحرير الإنسان والصحافة وحرر المرأة، فضلا عن مساهمتهم في الفصل بين العقل والقلب، وفصل العلم عن الفن [32].

الانتقادات التي وجهت لنظرية ماكلوهان:

رغم ما لاقته نظرية –ماكلوهان- في الاتصال من إشادة من طرف العاملين في حقل الاتصال الجماهيري والمستهلكين للمواد الإعلامية وليدة هذه الوسائل الاتصالية، إلاّ أن هذه النظرية لم تسلم من الانتقادات وهي في الأساس إنتقادات أفرزها التطور التكنولوجي الرهيب في فترات متسارعة فاقت كل التوقعات، ففي الوقت الذي كان العالم يتوقع المزيد من إزالة الحدود الجغرافية والزمانية بين أجزاء القارات الخمس للوصول إلى مجتمع واعد محد خاصة بعد إنهيار جدار الثنائية القطبية وهيمنة الأحادية الأمريكية المسيطرة على مفاصل السياسة والمال والاقتصاد وكذا المعلومة والأمن جاءت نتائج مخالفة لما كان منتظرا ولما كانت ترمي إليه نظرية " ماكلوهان ".

ومن أبرز المناهضين لنموذج ماكلوهان يوجد الباحث " **ريتشارد دبلاك** " الذي ركزَّ على مصطلح " القرية العالمية " الذي إرتبط باسم صاحبه " ماكلوهان " حيث اعتبر أن هذا المصطلح الذي ساد العالم منذ النصف الاثني للقرن العشرين- لم يُعد له وجود حقيقي في المجتمع المعاصر بعدما ازداد تعمير الفضاء بالأقمار الصناعية التي باتت تنافس عدد " النجوم" هذا التطور.

في نظر" **دبلاك** " أدى إلى تحكيم هذه القرية العالمية وتحويلها إلى شظايا، فالتطور الإلكتروني السريع أحدث إنفجارًا داخل هذه القرية العالمية حيث أحياءها عن بضعها البعض، وإبتعد كل جزء منها عن الآخر بُعدًا نفسيًا شاسعًا رغم القرب الجغرافي بينها.

فالعالم اليوم أشبه ما يكون إلى البناية التي تضم عشرات الشقق السكنية التي يعيش فيها أناس كثيرون، ولكن كل فرد منهم يعيش عزلة ولا يدري شيئًا عن جيرانه الذين يقيمون معه في البناية.

ويمكن القول مع هذا التحول في عالم تقنيات الاتصال قد حوّل العالم من التجميع إلى التفكيك وتفكيك المفكك إلى الحد الذي أصبح الفرد الواحد يمثل عالمًا خاصًا به.

---

[32]– بسام عبد الرحمن المشاقة، **نظريات الإتصال**، مرجع سابق، ص ص: 160-161.

يرى " **هارولد أنيس** " أن الاتصال الجماهيري حتى ما قبل عقدين كان يميل على توحيد الجماهير **Massification** بمعنى نقل الرسائل الاتصالية نفسها إلى قطاعات جماهيرية واسعة، وتوحيد الرسائل وتعدد الجماهير المستقبلة لهذه الرسائل وهذا ما يؤيد رأي " ماكلوهان " الذي تناول تلك الأفكار تناولا سيكولوجيا [33] لأنه كان مهتمًا بالطريقة التي تؤثر بها وسائل الاتصال والإعلام، هذه الأخيرة في نظره- لا تنقل فقط معلومات بل أنها تقول لنا ماهو نوع العالم الموجود ؟ وهذا لا يجل حواسنا تثار وتتمتع فقط، بل تجعلنا نعدل نسبة استخدامنا للحواس وتغير في الواقع شخصيتين.

[33]– محمد حجاب، **نظريات الاتصال**. ص: 267.

■-**الاتصال الجماهيري وعلم النفس:**

في أعقاب نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين عرف علم النفس تطورا سريعًا سواء من حيث الفروع التي يشتغل فيها او من يحث المكانة التي أصبح يحتلها في إهتمام العلماء والمفكرين، الملفت للإنتباه أن نظريات فرويد المدهشة وأشعلت النار في عالم الفكر وخصصت لهذا الميدان مجالا واسعا للروية، وقد كان روائز الذكاء (إختبارات قياس الذكاء) التي أجريت على نطاق واسع على مئات الاف من المجندين فيالأسطول الحربي الأمريكي ممن تم تجنيدهم خلال الحرب العالمية الأولى، تائج باهرة أبانت عن إمكانية دراسة الظواهر النفسية دراسة علمية تجريبية، وتأكد بعد هذه النتائج الباهرة أن علم النفس هو أحد مجالات الدراسة الهامة التي يمنها المساعدة في حل كثير من المشكلات العملية [34].

ومن بداية القرن العشرين، ظهرت بداية فرع جديد من فروع علم النفس، كان الهدف الرئيس منه هو فهم كيفية تشكيل سلوك الأفراد من خلال البيئة الاجتماعية نتيجة لعملية التعلم. وفي هذا الاتجاه حاول العلماء فيه ذا الفرع الجديد من علم النفس إكتشاف كيف تترك التجارب والخبرات التعليمية المكتسبة من البيئة الاجتماعية تأثيرات مستمرة على الفرد، وهذا وبعد هذه التجارب- العلمية- يمكننا القول أنه من المفترض أن لا يظل علماء النفس ملتزم بالفكرة الكلاسيكية التي تقو أن: " الطبيعة هي مصدر الحصول على كل السمات البشرية".

وقد تركزت إهتمامات علماء النفس على كيفية تشكيل البنية الإدراكية للفرد (النظام السيكولوجي الداخلي الذي يكتسبه الفرد) وأنواع الاستجابات التي تصدر عن الشخص نحو بيئته الاجتماعية (الخارجية).

وفي النهاية، أصبحت سيكولوجية التعلم ذات أهمية أساسية لدارسي أثار وائل الاتصال الجماهيري، وفي الوقت نفسه اعتمدت وسائل الإعلام وسيلة وأداة تم من خلاله نقل الأفكار إلى عدد كبير من الناس أصبحوا جمهورًا لها.ومن المتوقع ان هذه الأفكار سوف تحدث مجموعة نم التغيرات في التركيب السيكولوجي" البنية الادراكية " لهؤلاء المتلقين الاتصالية، ومن المحتمل – نتيجة هذا التأثير- أن هذا التعليم قد غيّر بدور سلوك هؤلاء الجماعة.

■-**نظرياتالتعلم:**

قام عالم النفس الألماني " **هيبرمانأبنجهاوز** " بإجراء تجارب واسعة على نفسه كشخص يتعلم ويحاول ان يتذكر مقاطع صوتية لبعض الكلمات،

وعند دراسة كيف تتأثر الذاكرة وتتوقف عن العمل، وتوصل العالم الألماني إلى أسماه" منحنى النسيان " الذي يثبت العلاقة بين الزمن وبين دقة التذكر، وكانت هذه

---

[34]– ملفين ل. ديفلير، **ساندرا بول** روكيتش ،ترجمة: كمال عبد الرؤوف، **نظريات وسائل الإعلام**، الدار الدور للنشر والتوزيع، القاهرة ط 3، 1999، ص: 248.

الدراسات المبكرة تعبر شيئا جديد ودقيقًا.ونظرا لصعوبة إجراء التجارب على الإنسان فكر علماء النفس في إستعاضة الإنسان بالحيوان، وقد تزايد الاقتناع بتزايد في علم النفس المقارن بأن العمليات التي تتصف بها الحيوانات يمكن أيضا وجودها في الإنسان وبالعكس ومطلع القرن العشرين (1900-1910) جذب مفهوم التعلم العقلاني الوراثي أنظار علماء النفس لدراسة التعلم عند الحيوانات كطريقة لإكتشاف المبادئ الأساسية في عملية التعلم، وكما تستخدم الحيوانات في التجارب الطبية التي تؤدي إلى نتائج يكن تطبيقها على الانسان نفقد ظهر لعلماء النفس المقارن أن دراسة التعلم عند الحيوان بإمكانها أن تعطيا المفتاح لمعرفة كيف يحصل الانسان على أنماط جديدة للسلوك عن طريق التعلم [35].

وفي هذا الاطار إستطاع العالم الفيزيولوجي الروسي " **إيفنبتروفيتش بافلوف** " أن يحقق إنجازا منفردًا بإكتشافه لنظرية التعلم الشرطي، تلك النظرية التي شغلت أذهان علماء النفس زهاء نصف قرن من الزمان وماتزال إلى الآن بحكم معطياتها التي ماتزال معطياتها مؤثرة، على نحوما، في تيار علم النفس التعليمي والتربوي بوجه خاص، وعلى علم النفس بوجه عام[36]، فقد إستطاع " بافلوف " أن يربط بين نموذج السلوك الكلب الطبيعي (سيلان اللعاب) وبين منبه خارجي تمامًا (الجرس أو الضوء) وقد كانت تجربة " بافلوف " هذه إحدى المرات النادرة التي حقق فيها العلم تقدمًا كبيرًا أدّى إلى فتح جديد في دراسة السلوك الإنساني إنطلاقا من دراسة السلوك عند الحيوان، والنتيجة من هذه التجارب ان الحيوان لا يسلك سلوكًا عزيزيًا محضًا دائمًا وإنما يمكنه أن يتعلم من بيئته المحيطة به.

وكان الاعتقاد عند علما النفس قبل- إكتشاف بافلوف هذا – أن جميع الحيوانات بما فيهم الانسان – أن سلوكهم ناتج عن دوافع وراثية فطرية، أي ان الغريزة هي المحرك الأساس للسلوك، وتقترن نظرية الغريزة- في صورتها الحديثة- باسم " **وليام ماك دوغال** " الذي ظهر كتابه المعنون " علم **النفس الاجتماعي** " عام 1908، حيث عرض فيه نظرية ترى أن الغرائز هي الدوافع الأولى لكل فاعلية بشرية، فإذا نحن حذفناها أصبحت العضوية عاجزة عن أية فعالية [37].

إن الغريزة هي القوى التي تكيف حياة الأفراد والمجتمعات وكان " ماك دوغال " ينظر
إلى الغريزة على أنها إستعداد فطري يحمل العضوية على الادراك، أو الإنتباه لكل شيء يتصل بفئة معينة، وعلى الشعور تجاهه بشيء من التأثر العاطفي، وأخيرا، على العمل أوالشعور بدافع إلى العمل يبرز بطريقة سلوكات معينة تجاه هذا الشيء.

---

[35]– سيد عبد العال، **نظريات علم النفس**، مكتبة رافت، ط 2، عين شمس، 1996، ص: 53.

[36]– ملفين ل. ديفلير، **ساندرا بول** روكيتش ،**نظريات وسائل الإعلام**، مرجع سابق، ص ص: 249–250.

[37]– أوت كليبنبرغ، **علم النفس الاجتماعي**، ترجمة: حافظ الجمالي، منشورات مكتبة الحياة، ط 3، يروت، ص: 95.

وقد قام " **ماك دوغال** " قائمة بثلاث عشرة غريزة كبرى تشتغل على فعاليات مثل الفضول، تأكيد الذات، البحث عن الغذاء، الجنس، حب الكسب...يضاف إليها ست غرائز صغرى، كالعطاس والسعال والضحك التبرز...ولكي ينشء " ماك دوغال " قائمته هذه، رأى أنه لابد من النظر اولاً، إلى سلوك الحيوانات، وثانيا إلى تضخم هذه الغرائز، كما يلاحظ عند المصابين بأمراض نفسه، أي أنه إلتفت، على حد قول نقاده، بإتجاه " حديقة الحيوانات، وبإتجاه مستشفى المجانين، ليستمد منها معلوماته، وقبل أنه: " يقوم بإستعدادات كبيرة للقيام برحلة لم يقم بها أبدًا " ذلك أنه يصف نظريته في الغريزة بكونها " مقدمة " لعلم النفس الاجتماعي، ولكنه لا يستخدمها أي إستخدام عنده يبحث في الحوادث الاجتماعية [38].

وقد إعتمد " **فرويد** " (1856-1939) على نظرية الغريزة هذه ليفسر بها سلوك الإنسان السوي والمريض نفسيًا على الواء، وأصبح مفهوم " الغريزة مألوفا بل أساسيا في نظريات التحليل النفسي.

وقد إستغل فرويد الكثير من هذه الأفكار مثل غريزة الحياة والموت، والدافع الفطري للإشباع الجنسي الذي يجعل السلوك معقدًا، غير أن علماء النفس الاجتماعي بدأوا ينظرون- خلال القرن العشرين نظرية ريبة (شك) إلى هذه الفكرة التي تفيد بان البشر يرثون أجهزة دوافع معقدة وشاملة، وظهر الدليل المتزايد على قدرة الإنسان على التغيير، والتقدير المتواصل لأهمية الاختلاط الاجتماعي، وعملية التثقيف والتعلم كأشكال تقوم بتشكيل الشخصية، وكانت كلها تتعارض مع فكرة الغريزة وبناءًا على ذلك ظهرت نظريات التعلم[39].

يرى البعض ان فهم شخصية الفرد، يجب الرجوع إلى مبادئ نظرية المجال، فهي المبادئ التي تعني بالبيئة السيكولوجية للفرد، بدوافع التعلم ودافع السلوك، ومن النظريات التي تعرضت لتفسير عملية التعلم، والتي يمكن لعلوم الاتصال الاستفادة منها لتحقيق إتصالات فعالة خلال عملية التعلم الرسمي وتعليم الكبار على حد سواء نذكر النظرية التالية:

1)- نظرية التعلم عند ثرونديك:

يعتبر " **إدوارد ثرونديك** " هو الرائد الحقيقي للفكر السلوكي الأمريكي منذ أوائل القرن العشرين في نظر البعض [40].خلافا للرأي الذي يعتبر " **جون برودوس واطسون** " هو رائد السلوكية الأمريكية في القرن العشرين، وأيا كان الرائد منها فإن المدرسة السلوكية جاءت كرد فعل لعلم النفس الاستبطاني الذي يعتمد على الشعور كأساس لفهم وتفسير السلوك الإنساني، لكن الثورة الصناعية في أوروبا ثم إنتقالها إلى أمريكا وإزدهار العلوم الطبيعية قد عجّل ظهور علم نفس موضوعي يعتمد على المنهج الأمبريقي (التجريبي) والذي أصبح

---

[38]- المرجع نفسه، ص: 94.

[39]- ملفين ل. ديفلير، **ساندرا بول** روكيتش، **نظريات وسائل الإعلام**، مرجع سابق.

[40]- سيد عبد العال، **نظريات علم النفس**، مرجع سابق، ص: 201.

ينظر إلى علم النفس التقليدي على أنه " خرافة ميتايزقية " وأن الظاهرة النفسية ظاهرة موضوعيبة يمكن دراستها بأدوات منهج العلوم الطبيعية.

لقد ظلت نظرية " ثروندیك " التي شرحا في كتابه عن الحيوان عام 1898 في طليعة النظريات الأخرى التي تناولت موضوع التعلم، بل وكانت نقطة الإنطلاق كما جاء بعدها من النظريات في هذا المجال، وقد وجّه " ثروندیك " عنايته حتى عام 1930 نحو تطبيق وإستخدام نتائج نظريته في ميدان التربية والمشكلات الاجتماعية.

ويرى – على الخصوص- العلم بالمحاولة والخطأ أو الإختيار هو أسرع أشكال التعلم عند الانسان والحيوان على السواء، وقد إستنتج من بحوثه على الفئران والكلاب وبعض القردة والأسماك ان الحيوان لا يتعلم بقوة العقل، وهو يقلِّد غيره وإنما يتعلم بالمحاولة والخطأ والاستفادة من الخبرات الناجحة فيسعى الكائن إلى العمل كوسيلة للتخلص من التوتر النتاج عن عدم إشباع الحاجة [41].ويرى " ثروندیك " أن تعلم الانسان يرجع أساسًا فعل قوانين التعلم وهي قوانين تشبه القوانين الطبيعية يمكن التنبؤ بها، وهي:

1)- قانون الأثر: وينص على أنه إذا ما تكوَّون رباط قابل للتعديل بين موقف وإستجابة فإن هذا الرباط يزداد قوة إدا صاحبه أو لحق به رضًا وإرتياح، وتقل قوته إذا ما صحبته

أو لحقت به حالة عدم رضا وإرتياح.

2)- قانون الاستعداد أو التأهب:وهو قانون يبيّن الظروف التي يكون فيها الإنسان راضيًا أو ساخطًا، مرحبا أو رافضًا، وهناك أبعادا أساسية تدل في مجموعها على أن الترابط بين المثير والاستجابة يعتمد أساسًا على الإستعداد العصبي للتوصيل [42].

(أ)- إذا ما استعدت وحدة توصيل (وحدة عصبية) للعمل فالتوصيل يبعث على الرضا والارتياح أي يسبب ذلك للكائن إشباعًا.

ب)- إذا كانت وحدة توصيل مهيئة (مستعدة) للتوصيل ولم تعمل، فإن ذلك يبعث على المضايقة أي يسبب ذلك للكائن توترًا أو إحباطًا

(ج)- إذا كانت وحدة التوصيل غير مهيئة (غيرمستعدة) للتوصيل (الخلية العصبية) وأجبرت على العمل، فإن ذلك يبعث على المضايقة والألم.

وقد قام " ثروندیك " عدة تجارب أثبت أن الثواب والعقاب ليس مساويين ومتضادين وإما للثواب أثر عظيم عن أثر العقاب في التعلم، وقد كان لهذه النتيجة أهمية عظيمة في عملية التعلم، فالثواب يؤكد الاستجابة، ويقوي الرباط [43].

3)- قانون المران أو التدريب:

---

[41]– محمد محمدالطنوبي، **نظريات الاتصال**، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية، ط 1، الإسكندرية، 2001، ص: 107.

[42]– جابر عبد الحميد جابر، **نظريات التعلم** مرجع سابق، ص: 244.

[43]– محمد محمدالطنوبي، **نظريات الاتصال**، مرجع سابق، ص: 158.

ويقصد " ثرونديك " بقانون التدريب تكرار الرابطة بين المثير والاستجابة، وهذا التكرار سوف يتيح فرصة ظهور الاستجابة السليمة، بد عدد من الاستجابات الخاطئة، وفي كل مرة تدريب تنقص الاستجابات الخاطئة بتقوية الروابط بين المثير والاستجابة. ويقابله عدم المران وهو إذا لم يتكرر إستخدام الرباط المتكوّن بين منبه وإستجابة لمدة طويلة فإن قوة الرباط تتضاءل، ولا عجب أن يؤدي التكرار والمران إلى التقدم في التعليم [44]. وليس من الصعب أن ندرك أن قانون التدريب سوف ينزع إلى إشتقاق هويته من قانون الاستعداد ذلك أن التدريب بغير تهيؤ وإستعداد لا قيمة له [45].

4)- قانون التبعية:

ومعناه أن الفرد يكون أكثر قدرة على تعلم الأشياء التي ترتبط ببعضها مع البعض الآخر، مثال ذلك، أن الفرد يسهل عليه حفظ قطعة شعرية أو نص أدبي وبطريقة أسرع من حفظه لكلمات متفرقة لا إرتباط، ويدخل في هذا إطار التسلسل الزمني لنص من النصوص أو ترابط الأفكار وصياغتها صياغة سهلة ومفهومة ومترابطة الأفكار والمعاني عكس الأفكار والنصوص التي تفتقر إلى هذه الأنواع من الروابط.

والملاحظ في هذه القوانين أنها مترابطة فيما بينها خاصة القوانين الثلاثة الأولى (الاستعداد، التدريب والأثر) فهي تمثل سلسلة متصلة الحلقات، فكما أن الإستعداد يقود إلى التدريب، نجد التدريب يقود إلى الأثر، فالتدريب يقوم بدور تقوية الروابط بين المثير والاستجابة، بدرجة أسرع بناء على الأثر الطيب المترتب على السلوك (الاستجابة)، وهذا الأثر هو الذي يمكن قياسه كميا بما يعكس من سرعة التعلم، وبدون الأثر لايتم التعلم، فإذا كانت وحدة التوصيل مستعدة للتوصيل (قانون الاستعداد) وحدثت الاستجابة وبتكرار الموقف (قانون التدريب) تعود الاستجابة ذاتها إلى الظهور، فما قيمة هذه الاستجابة ما لم تُثاب ؟ أي يترتب عليها أثر طيبٌ ؟[46]. وهذا القوانين قد طبقت على وسائل الإعلام من خلال ما تبثه من رسائل إتصالية وأثرها على سلوك الأفراد، فالتجارب التي قام علماء النفس السلوكي وغير من النظر الأمبريقية (التجريبية) على الحيوانات وعلى الإنسان على حدٍّ سواء خاصة في الوسط التعليمي وفي المصانع والمزارع فإنه من الطبيعي، أن لا تستثنى من ذلك دراسة وسائل الاتصال الجماهيري [47].

---

[44]– سيد عبد العال، **نظريات علم النفس**، مرجع سابق، ص: 218.

[45]– محمد محمدالطنوبي، **نظريات الاتصال**، مرجع سابق، ص ص: 158–159.

[46]– سيد عبد العال، **نظريات علم النفس**، مرجع سابق، ص: 221.

[47]– ملفين ل. ديفلير، **ساندرا بول** روكيتش، **نظريات وسائل الإعلام**، مرجع سابق، ص 255.

علم الاجتماع ووسائل الاتصال:

بدأ البحث التجريبي الأساسي أو الذي تقوده النظريات العلمية مع علم الاجتماع مع دراسة " **دوركايم** " (1858-1917) الكلاسيكية لظاهرة الإنتحار " وكان في صلب الدراسة تأثير الفئات الاجتماعية على ميل الأفراد لإتخاذ القرار الأخير في حياتهم ومما أسفرت عليه الدراسة أن المعدلات بين المتزوجين أقل منها بين غير المتزوجين. ومعدلات الانتحار بين الكاثوليك أقل من البروتستانت.

واختلفت المعدلات بين العسكريين عنها بين المدنيين، ولهذا... إختلافا نسبة المتزوجين بأطفال والمتزوجين بغير أطفال ... وتظل نظريته عن العلاقة بين الإنتماء الطبقي وإحتمالالإنتحار نظرية هامة في الوقت الحاضر،

ومهما يكن فإن نظرية دوركايم في الانتحار كانت نقطة تحول في الدراسات الاجتماعية، ونقطة تحوّل ترجمة الأفكار " الكونتية " أوغست كونت" إلى واقع جسدت فيه النزعة الوضعية، فإذا كان " كوت " مؤس علم الاجتماع التجريبي فإن " **إميل دوركايم** " يعتبر رائد هذا اللم التجريبي من خلال بحوثه الرامية إلى جعل علم الاجتماع علما يشكل فيه البحث التجريبي الكمي لأنماط محددة من السلوك الاجتماعي الأساس للحصول على معرفة جديدة.

هذا التطور في الدراسات التجريبية التي تعتمد على الإحصاء هو الذي أعطى لدراسة " دوركايم " هذه الأهمية، إن الأسلوب المنهجي الجديد كان ممكنا بسبب إتاحة وسائل إحصائية فنية ملائمة لتحليل نتائج عمليات المسّح، وفي نهاية القرن التاسع ازدهرت المناهج والنظريات الإحصائية، وعلى مدى حقبة إمتدت ثلاثة قرون نضجت الدراسات الكمية على يد بعض علماء الفلك وعلماء الأحياء وعلماء الزراعة.

وتعتمد الطرق الفنية للتحليل الاحصائي المستخدمة فيالبحوث الإحصائية في الوقت الحالي على سمتينأساسيتين:الأولى، تعتمد على عينة من قطاع السكان الذي ستتم دراسة مفضلا ذلك على الاعتماد عل الكل، الثانية، يستخدم في القياس برامج لقاءات منظمة بموضوعية. وهكذا يكون الأسلوب الفني الحديث للإحصاء ق جمع بين مفهوم الإحصاء وطرق تصميم إحتمالية العينة، والنظريات الإحصائية لتقديرات المتغير السكاني والأساليب الفنية للقياس الكمي الدقيق للمتغيرات الاجتماعية والنفسة.

ومع ظهور تقليد البحوث الإحصائية، فإن المقارنات الإحصائية لسلك البشر على أساس الفئات الاجتماعية أصبحت إستراتيجية عامة، وكانت النتيجة لهائية هي أن الجماعات التي تتقاسم هوية عامة بلغة الانتماء الاجتماعي الطبقي يتصرفون غالبًا بأساليب متشابهة، وكان لهذه القاعدة أهمية كبيرة في التطورات النظرية الأخيرة في دراسة الاتصال الجماهيري[48].

[48]– المرجع نفسه، ص:264.

المحاضرة الخامسة

نظريات الاتصال الحديثة

نظرية الاتصال عند كولن

تعتبر نظرية " **كولن** " في الإتصال من النظريات الحديثة و الرائدة في مجال الإتصال الجماهيري، و التي استخدم فيها – بما يناسب مستوى عصره – بعض المصطلحات المستعارة من علوم الطبيعة الحديثة كالعلوم الكهربائية و الإلكترونية مثل المُرسل، الرسالة، التَّدفُّق، المُستقبِل و رجع الصدى أو (التغذية العكسية).

تنطلق هذه النظرية من فكرة أساسية هي أن مدار المعرفة هو العقل – ابتداءً و انتهاءً – فعقل الإنسان هو المركز الرئيس للاتصال بالنسبة للإنسان، سواءً في إرسال الرسالة أو في استقبالها، و السبب في ذلك هو أن العقل هو الذي يصوغ (يؤلف) الرسالة التي – يتولى بعدها – الجهاز الصوتي توصيلها إلى المستقبل. و تبرز قيمة العقل و دوره الرائد أيضا في " الإدراك " الذي يتولى استيعاب الرسائل فضلا عن الوظائف النفسية الأخرى كالتركيز، الانتباه و الذاكرة و التذكر، التي تساعد على إرسال و استقبال الرسائل. و عليه، يمكن تلخيص الموقف الإتصالي عند " **كولن** " على النحو التالي:

1- **المُرسِل:** الذي أوجب عليه" كولن " أن يستمد الرسالة من عقله – إذا أراد أن تصل إلى الطرف الآخر بالكيفية التي يرغب فيها – ما دام العقل واحدًا عند الجميع. " العقل هو أعدل قسمة بين الناس " على حد تعبير " **ديكارت** ".

2- **الرسالة:** التي يصوغها العقل في شكل يمكن إدراكه من المُرسِل إليه مع مراعات مستوى المستقبلين، و بالتالي يتعيَّن على القائم بالإتصال (المُرسِل) اختيار الأسلوب و المفردات المناسبين و حتى الظرف المناسب حتى تحقق الرسالة أهدافها كاملة. يضاف إلى ذلك مراعاة الجنس و السن و المستوى التعليمي... " خاطبوا الناس على قدر عقولهم " كما يقول " **علي بن أبي طالب** " و قديما قال أحد الحكماء: " ليس كل ما يُعرف يقال، و ليس كل ما يقال جاء أهله، و ليس كل ما جاء أهله جاء حينه ".

3- **المُستقبِل:** الذي أوجب عليه – هو الآخر – أن يستخدم عقله و قدراته و استعداداته النفسية المذكورة آنفًا، كالإنتباه و الإرادة، الذكاء و غيرها، ليتمكن من حسن استيعاب الرسالة على الوجه المطلوب، و على الصورة التي قصدها المُرسِل، فلا ينحرف بها إلى ما يريده هو!!

4- **التغذية العكسية**: أو " رجع الصدى " بها تكتمل الدورة الإتصالية، و هو الجديد الذي جاء به "**كولن**" في علوم الإتصال إلى غاية عصره. و المقصود برجع الصدى، هو قياس مدى استجابة المُستقبِل لمضمون الرسالة، و التي تعود إلى المُرسِل من جديد ليتأكد من مدى بلوغ الرسالة غايتها، و عندئذٍ يتحول المُستقبِل إلى مُرسِل، و يتحول المُرسِل إلى مُستقبِل، فيحصل التفاعل و تستمر العملية الإتصالية.

من خلال استعراض عناصر الإتصال عند " **كولن** " نخلص إلى القول أن هذه النظرية تعد باكورة علم إتصال جديد يجعل العملية الإتصالية فعالة، و تحقق المعنى اللُّغوي و الاصطلاحي لكلمة إتصال و تميزها عن لفض " البث أو الإذاعة أو النشر " فالأول يشترط وجود طرفيْ إتصال من خلال رجع الصدى و الثاني يكون الإتصال أحاديًا دون تفاعل، و عليه تجدر الإشارة إلى أن هذه النظرية الرائدة في علم الإتصال الحديث تعتمد كلية على الدراسات النفسية، و الأمر الذي يجعلها من النظريات المتكاملة لاعتمادها على رجع الصدى الذي يجعل الإتصال دورة مستمرة تنضج معها الأفكار و تتنوع الآراء مستعملين أسلحة الإقناع المختلفة الأمر الذي يؤدي إلى بلوغ الحقيقة المرجوة من كل إتصال اجتماعي. و قد أد أثرت هذه النظرية في وسائل الإتصال الجماهيري خاصة "الراديو" و "التلفزيون"، حيث أصبحت تستعمل رجع الصدى من خلال الحصص المباشرة و المفتوحة للجمهور و التي تعرف بالبرامج التفاعلية التي يقدمها – على الأغلب – رجال الإعلام الأكفاء و الممرسين. كما نجد ذلك حتى في الصحافة المكتوبة – و إن كان ذلك بشكل أقل فاعلية – من خلال حق الرد و من خلال صفحات للرأي و الرأي الآخر.

لم تبلغ وسائل الإتصال الجماهيري هذه المكانة في نفوس المُستقبلين و المُستهلكين للمواد الإعلامية إلا بعد اعتمادها لمبدأ رجع الصدى باعتباره المعيار الموضوعي لمدى نجاح الإتصال الجماهيري.

المحاضرة السادسة

نظرية الاتصال عند ستيفنسن

جاءت هذه النظرية بعنصر جديد هو "الإمتاع"

لقد قام ستيفسن بالربط بين الاتصال و الإمتاع حيث بادر بإدخال الإمتاع كعنصر أساسي في عملية استهلاك المواد الإعلامية "من منطلق اختباره لطبيعة الإنسان الميالة لطلب المتعة و هو ما يعبر عنه الطفل"

لذلك أن المستقبل (الجمهور) يشعر بالاستغراق فيما يقرأ و يسمع و يشاهد و لكي تستمر المتعة في كل ذلك فإنه من الضروري أن تتخلل العملية الاتصالية بعض القطع الموسيقية أو الأغنيات الخفيفة للتقليل من حالة الضغط الإعلامي عن المستقبل لأن الروتين من شأنه قتل الرغبة في الاستمرار في استهلاك المواد الإعلامية. و من هنا يستمر التدفق الإعلامي بعد وقفات قليلة لإراحة المشاهد أو المستمع بالأغنيات أو بالصفحات الإشهارية .

إن الإمتاع في البرامج الإعلامية و التلفزيونية على الخصوص هو الذي أخذت به وسائل الاتصال المعاصرة حيث أصبحت بفضل هذا العنصر الجديد تستقطب اهتمام المشاهدين و المستمعين.

كما أن وسائل الاتصال المكتوب من جرائد و مجلات هي الأخرى تستخدم الإمتاع من خلال تنويع الأخبار و استعمال الصور خاصة الملونة منها لأن " النفس تنفر من الرتابة (الروتين) و تميل إلى التغيير و التنويع" بالإضافة إلى صفحات التسلية.

و ربط ستيفنسن كذلك بين الاتصال و تكوين الرأي العام و الارتقاء بأذواق عامة الناس و الطبقة المثقفة على حد سواء عن طريق ما يقدم لهم من مواد إمتاعية مثل : المسرحيات و القصص و الروايات و الأشعار و المسابقات العلمية و الثقافية.

يلاحظ أن الموقف الإتصالي في هذه النظرية قد وضع شروطا و هي :

1- إلزام المرسل بإيديولوجية المجتمع :

هذه الإيديولوجية من أهدافها ربط المواطنين بمجتمعهم و الارتقاء بأذواقهم في مختلف النواحي الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية أي تكوين رأي عام مثقف و راقي.

2-صياغة الرسالة :

التي أوجب ان تكون في أسلوب شيق يعتمد على الإمتاع بشكل يجعل المستقبل على اتصال مستمر بمصادر المعلومات بفضل الطريقة التي تعرض بها الرسالة و التي تجعل المستقبل يقبل محتواها و فضلا عن الطريقة الجذابة لابد أن تكون المواد الإعلامية صادقة و هو شرط أساسي و من أبجديات الإعلام لأنه يعبر عن احترام المستقبلين.

3-إتاحة الفرصة للمستقبل للدخول في حوار مع المرسل:

حتى يؤدي ذلك إلى تكوين رأي عام مستنير يعتمد على الحقائق الواضحة و ليس على ما تقدمه له الأجهزة التنفيذية (الحكومة) و هذا ما تؤكد عليه النظرية التي ترى ضرورة استقلال رجل الإعلام و تمكينه من الوصول إلى مصادر الخبر و هو حق من حقوقه بل هو أساس الحقوق.

هذا الاتصال بين الجمهور و بين وسائل الاتصال الجماهيري ينبغي أن يكون صادقا حتى لا يحصل الاستغلال في حالة الاستغراق الذاتي و الاستمتاع لدى الجمهور فيكون بذلك وسيلة لتمرير مصلحة معينة في السلطة أو فئة في السلطة أو تقديم خدمة ما .

التعليق:

هذه النظرية فوق كل ما ذكر فإنها تركز على ضرورة مراعاة النواحي الاجتماعية و النفسية التي تعيشها الجماهير و التي من حقها أن تشارك بالآراء في أمور مجتمعها خاصة الفئة المثقفة منها (الفئة العلية) (لليت) و ذلك من خلال اتصالاتها بمصادر المعلومات لأن الاتصال الذي ترمي إليه هذه النظرية ممزوجا بالمواد الإمتاعية يهدف

إلى تحقيق الترابط الطوعي (ليس إكراه) بين الجمهور و الاتصال الجماهيري بطريقة عفوية.

و مما يلاحظ على هذه النظرية أنها أثرت في برامج وسائل الاتصال الجماهيري على وجه الخصوص في الراديو و التلفزيون و ما تعلق الجماهير بهاتين الوسيلتين كمصادر أساسية للمعلومات إلا دليل على نجاح هذه النظرية بالإضافة تأثرت وسائل الاتصال الجماهيري المكتوبة بهذه النظرية من خلال

تنويع الأركان و استعمال الصور خاصة الملونة منها و الحرص على تخصيص أبواب ثابتة للتسلية و الترفيه فضلا عن الصفحات الإشهارية التي تعتبر بالنسبة للصحيفة أداة ترفيه و مصدر ربح مادي.

المحاضرة السابعة

نموذج من أسلحة التأثير في علم النفس الاجتماعي

رسالة الإبنة شارون و رسالة الأم سالي

الرسالة:

أميالعزيزة ... أبيالعزيز

- لقدكنتمنذتركتكما للالتحاقبالكليةمقصرةفيالكتابةإليكما،وإني آسفة على هذاالتقصير،وسوفأحيطعلمكمابكلشيءحتى الآن،ولكنقبلأنتستمرافيالقراءة، أرجوكماالجلوس،فلايجبأنتقرأالمزيدإلاإذاجلستها،موافقان؟

- حسنا،والآن . إنيحالياعلىمايرام .فقدتمشفائيتماماًمنإصابةجمجمتيبكسرٍوإصابتيبارتجاجفيالمخ،ممالحقبيعندماقفزتمننافذةبيتالطالـ باتلماًاشتعلتبهالنيران،بعدوصوليهنابقليل . لقدقضيتأسبوعينفقطفيالمستشفى . وأستطيعالآنأنأبصر بشكلعاديتقريبا،ولاينتابنيذلكالصداعالمؤلمإلامرةواحدةفياليوم . ولحسنالحظشاهدالنارفيبيتالطالبات–كماشاهدقفزتي– عاملفيمحطةالبنزينالقريبةمنالبيت،وهوالذياستدعىالمطافئوالإسعاف،وزارنيأيضافيالمستشفى . وحيثإنهلميكنلديمكاناًعيشفيهلاحترابيتالطالبات،فقدساقهعطفهإلىدعوتيلمشاركتهفيشقته . إنهافيالواقعحجرةفيالبدروم،إلاأنهالطيفة . هوشاب لطيف جدا، وإننا نتبادل الحب العميق،.،ونحن الآن بصدد التخطيط للزواج،وإنكانالمنحددتاريخالذلكبعد،ولكنهسيكونقبلأنتبدوعلىمظاهر الحمل .

- أبيوأمي: ... نعمإنيحامل،وإنيأعرفكيفتتطلعانلأنتكونا جدا وجدة،وأعرفأنكما سوفترحبانبالطفلوتعطيانهنفسالحبوالتفانيوالرعايةالتيأوليتانيعندماكنتطفلة . إنسببتأخيرزواجناأنصديقيمصابببمرضمُعدٍ بسيطيمنعنامنإتمامأوراقاختباراتالدمالتيتسبقالزواج،وانى–عنإهمال–أخذتمنهالمرض، وإنيأعرفأنكما سوفترحبانبهفيأسرتنابأذرعٍ مفتوحةٍ .

إنهعطوف،وعلىالرغممنأنهليسمتعلماتعليما كافيا،فإنهطموح .
وعلىالرغممنأنهينتميإلىجنسيةمختلفةودياناتتختلفعن
بديانتنا،فإنيأعرفأنالتسامحالذيطالماعبرتماعنهلنيسمحبأنيكونذلكمصدرضيقكما.

☐ والأن . وبعدأنأحطتعلمكبكلشيءحتى
الآن،أريدأنأخبركماأنهلميكنهناكحريقفيبيتالطالبات،ولميصبنيارتجاجفيالمخاوكسر.

فيالجمجمة،ولمأكنفيالمستشفى،ولستحاملا،ولستمخطوبة . ولستمصابةبأيمرضمعد،وليسلى
أي حبيب–ولكننيحصلتعلىالتقدير" ج " في مادةالتاريخالأمريكيوالتقدير" د " فيالكيمياء .
وإنيآملأن تنظرإلىهذا التقديرفيإطارهالصحيح.

ابنتكم المحبة شارون

تعليق عن الرسالة: قد تكون شارون راسبة في مادة الكيمياء.. لكنها تحصل على درجة الامتياز في علم النفس الاجتماعي لاستعمالها واحدة من أهم أسلحة التأثير.

و هذه رسالة مُفتَرضة من أم شارون للرَّد على رسالة ابنتها.

الرد على الرسالة:

من الأم سالي إلى ابنتها شارون

إبنتي المحبوبة شارون .

لقد انتظرنا رسالتك بشوق و لهفة كبيرين ، كيف لا و أنت أمل العائلة لترفعي رؤوسنا بين الأقارب و الجيران بشهادتك الجامعية ، خاصة ، بعد فشل أخيك نلسون في اجتياز شهادة البكالوريا ليتوجه إلى سوق العمل في سن مبكرة. لا نخفي عليك اننا توجسنا خيفة من ان يصيبك مكروه و قد عللنا تأخرك للكتابة غلينا بانشغالك بمذاكرة الدروس – خاصة و انك اخترت فرعا علميا هو من أصعب الفروع- لذلك وجدتني أنا و أباك نتنافس على من سيفتح رسالتك و يقرؤها عندما جاءنا ساعي البريد الاثنين الماضي . و قد استبشرنا خيرا مع بداية الأسبوع الذي يصادف عيد الربيع عندنا. و تصوري أننا لجأنا حتى إلى القرعة لتحديد من سيفتح الرسالة ليكون أول من يطلع على أخبار البنت الأمل. و سوف أحيطك علما بكل شيء

حتى الآن، بما جرى لي و لأبيك. و لكن قبل أن تستمري في القراءة ، أرجوك الجلوس ، فلا يمكنك أن تقرئي المزيد إلا إذا جلست ، موافقة؟

حسنا، و الآن سأروي لك كل ما حدث في بيت العائلة عند قراءة رسالتك المشؤومة. لقد ندمنا على اليوم الذي قررنا فيه ايفادك إلى الجامعة ، و الذي كان - كما تعلمين - عيدا لنا ، و لقد جعلته رسالتك مأتما، و شتان بين إثنين الخريف و إثنين الربيع!!

كنا ننتظر منك أن ترفعي رؤوسنا أمام عائلة أعمامك الذين ما انفكوا يتطاولون علينا و يفاخروننا بأبنائهم المتفوقين علما و خلقا ، و تعلمين أيضا أن محصولنا الزراعي للعام للماضي خصصنا نصف عائداته لدراستك و النصف الثاني لمصاريف العائلة...و لكن ، ها هي رسالتك تنزل علينا كالصاعقة لتمرغ شرفنا في الوحل – و نحن العائلة الريفية المحافظة- التي يُضرب بها المثل في المقاطعة عند الصديق و العدو.

إننا الآن، و بعد أسبوع من وصول رسالتك المجنونة و مُزاحك اللاَّمسؤول و اللاَّ واعي بعواقبه الوخيمة ، أحسن حالا بكثير مما كنا عليه من قبل. لقد عدت هذا الصباح من مصلحة أمراض القلب بمستشفى المدينة الذي مازال ابوك يرقد فيه إلى الآن.

نعم، لقد اصابتني نوبة قلبية حادة و انا أسمع من ابيك و هو يقرا الفقرة الثانية من رسالتك المزلزلة، فما شعرت إلا و انا في المستشفى و الأطباء من حولي في حالة استنفار . اما أبوك – الذي مافتىءيضحي بكل شيء من اجلك- فقد اصيب بارتفاع حاد مفاجئ في ضغط الدم كاد يودي بحاته لهول ما سمع من الكلمات الأولى من الفقرة الآنفة الذكر.-

نعم، لقد حُمل "جورج" إلى المستشفى على جناح السرعة لحالته الحرجة جدا و قد تركته البارحة تحت العناية المركزة ، غير أن عناية الربِ كنت رحيمة كالعادة. منذ قليل، بينما أنا أتهيء للكتابة إليك، جاءني طبيب العائلة بخبر مطمئن هو أن "جورج" خرج من دائرة الخر القصوى ، لكن – للأسف- لا أمل في العودة إلى الحياة الطبيعية . سوف لن يعود "جورج" إلى المزرعة على رجليه ، و لن يحمل- بعد اليوم- ادوات الزراعة، و لن يستطيع تقليب التربة ولا حمل الكلأ للأبقار...لقد حُكم عليه بأن يقضي ما تبقى من حياته على كرسي متحرك مع يديْن و شفتين لا تتحرّك.نعم، هذا ما جنته "شارون" على أبيها و ما جنى ابوها على أحد.

و الآن، و بعد أن أحطت علمك بكل شيء حتى الآن ، أريد أن أخبركِ أنه لم يُصِب أباك و لا أمك أي مكروه، لم تتعرض أمك لنوبة قلبية لا حاد و لا خفيفة ، و لم يُصب أبوك بجلطة دماغية ، و لم ندخلا المستشفى على الإطلاق بل إننا الآن نشاهد التلفزيون و نتابع المباراة الرائعة في كرة السلة بين "Chicago Bulls" و "Miami Heat" و أننا نرتشف فنجانيْ قهوة أعدته لنا أختك الصغرى "لوسي" التي عادت للتو من المدرسة الاعدادية – و هي

تحمل كشف نقاط الفصل الثاني الذي حازت به درجة الامتياز مع تشجيع مجلس الأساتذة، و نحن في غمرة السرور و الحبور بهذا النجاح الباهر.

و لكن عزيزتي، أردنا أن نمازحك بهذه الرسالة؛ لنقول لك في مقابل ذلك أن هناك أشياء أخطر بكثير من حرمانك من السفر إلى زيارة شلالات "نياغارا" هذا الصيف. لقاء كشف نقاطك السيء.

وكعقاب إضافي لكِ، قررت العائلة أن تبقي في البيت في رعاية جدتك كاترين العاجزة عن مرافقتنا.

أبواك اللَّذان يحبانك

المراجع:

القواميس:

المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، ج1، 1979.

معجم العلوم الاجتماعية، إبراهيم مدكور- الهيئة المصرية العامة للكتاب 1975.

1- مراد يوسف، مبادئ علم النفس العام، دار المعارف، ط7، القاهرة.
2- عبد العالي سيد، نظريات علم النفس و المداخل الأساسية لدراسة السلوك الإنساني، مكتبة سعد رأفت، جامعة عين شمس ط1987،2.
3- كلينبرغ أوتو، تر: حافظ الجمالي، منشورات مكتبة الحياة – بيروت، ط2.
4- علم النفس، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، ط3 1967-1981. نجم طه عبد العاطي.
5- الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث (الموضوع و القضايا) دار المعرفة الجامعية للطباعة و النشر و التوزيع، الإسكندرية: 2008م-1429ه.
6- كافي يوسف، الإعلام السياسي و نظريات التأثير الإعلامية، دار الإعصار العلمي للنشر و التوزيع، ط1، عمان الأردن:2016م-1437ه.
7- المشاقبة بسام عبد الرحمان، دار أسامة للنشر و التوزيع،الأردن - عمان 2011.
8- الطنوبي محمد محمد عمر، نظريات الاتصال، مكتبة و مطبعة الإشعاع الفنية، ط1، الإسكندرية: 2001.
9- العلاق بشير، نظريات الاتصال مدخل متكامل، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع، الأردن، عمان:2010

10-ملفين ل.ديفلير، ساندرا بول – روكيتش، تر: كمال عبد الرؤوف، نظريات وسائل الإعلام، الدار الدولية للنشر و التوزيع، ط3، القاهرة – مصر:1999.

11-ماس فيلور – روكاخ بال، نظريات الإعلام تر: ناجي محمد جوهر، دار أمل للنشر و التوزيع، 2000.

12-الطائي حميد و العلاق بشير، أساسيات الإتصال: نماذج و مهارات، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع، عمان – الأردن: 2009.